خليفة رسول الله ـ ثاني اثنين

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

خليفة رسول الله ـ ثاني اثنين

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

تأليف

أ. د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ الدراسات العليا

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقًا)

ح
عبدالعزيز بن إبراهيم سليمان العُمري، ١٤٤٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
خليفة رسول الله ـ ثاني اثنين (أبو بكر الصديق ﷺ). /
عبدالعزيز بن إبراهيم سليمان العُمري ـ ط١. ـ الرياض، ١٤٤٣هـ
٤٠٧ ص ٢١×١٤
ردمك: ٦-١٤١١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨
١. أبو بكر الصديق، عبدالله بن أبي قحافة، ت ١٣هـ ٢. الخلفاء الراشدون، أ. العنوان
ديوي ٢٣٩.٩ ١٤٤٣/٩٧٧٩

ردمك: ٦-١٤١١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨
رقم الإيداع: ١٤٤٣/٩٧٧٩

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

هاتف: ٠١١٢٧٤٦٦٧٧ ، ٠١١٢٧٤٦٦٨٨ فاكس: ٠١١٢٧٥٩٠٢٠

الرمز البريدي: ١٣٣١٤ الرقم الإضافي ٧١٩٦

E-mail: *azizomary@hotmail.com*

يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، بإذن خطي من المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــــداء

إلى كل من أحب آل بيت النبي ﷺ.

وأحب آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وأدرك حسن العلاقة بينهم، وصلات الإيمان

والنسب والقرابة والعمل الصالح المشترك.

أهدي كتابي هذا.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛

لا نستطيع دراسة سيرة الرسول ﷺ دون ربط الصديق بها، منذ ما قبل البعثة إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ، فهو ثاني اثنين كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة](١).

كنت بدأت الكتابة عن استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن شئ من سيرته، فأشار عليّ أخي الأستاذ وليد

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

ابن صالح الحمَّاد أن أبدأ بالكتابة عن أبي بكر الصديق ﷺ فهو أولى بذلك، فانصعت لرأيه واستحسنته، وحين بدأت العمل بذلك وجدت بركة فيه وسعة في الوقت وفائدة علمية عظيمة، وقد كانت الأمة وما تزال ـ بحمد الله ـ تعرف قدر الصديق وفضله ﷺ، ألفت عنه العديد من الكتب عبر القرون المختلفة والمكتبة مليئة بالكتب والبحوث القيمة والدراسات الرائعة عن أبي بكر الصديق ﷺ.(١)

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، بابًا بعنوان: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ج٤/١٩١.
وقد أُلِّف العديد من الكتب عن أبي بكر الصديق ﷺ، منها:
- علي محمد الصلابي، **الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق**.
- عاطف لماضة، **مواقف الصديق مع النبي في مكة؛ ومواقف الصديق مع النبي في المدينة**.
- عباس محمود العقاد، **عبقرية الصديق**.
- عبدالرحمن الشرقاوي، **الصديق أول الخلفاء**.
- علي الطنطاوي، **أبو بكر الصديق**.
- مجدي حمدي، **أبو بكر رجل الدولة**.

وقد حاولت جاهدًا في كتابي هذا أن أستدل بما ثبت بنص الكتاب والسنة عن أبي بكر الصديق ﷺ. وهذا أمر واجب على كل كاتبٍ مسلم يبحث في صحابة رسول الله ﷺ، وهو آكد في حق الصديق ﷺ الذي كان الصاحب الأقرب، والخليفة المؤتمن على الأمة بعد وفاة ﷺ، وأعلم أنه إنما كان سبْقُه بما وقر في قلبه من حب صادق لله ورسوله ﷺ، فاستحق ثناء الله ومحبة رسوله ﷺ.

وهذا البحث استشهدت فيه بالآيات القرآنية وتفسيرها وخصوصًا من تفسير ابن كثير وبعض التفاسير الأخرى والروايات المرتبطة بالآيات من كتب الصحاح والسنن.

- محمد أحمد عاشور، **فطن أبي بكر الصديق**.
- محمد حسين هيكل، **الصديق أبو بكر**.
- محمد رشيد رضا، **أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين**.
- محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، **أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة**.
- محمد مال الله، **أبو بكر الصديق**.
- محمود شلبي، **حياة أبي بكر**.
- نزار الحديثي، **أبو بكر الصديق**.

وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ، التي ارتبطت بالصديق رضي الله عنه وأحداث في سيرة المصطفى ﷺ شهدها رضي الله عنه وكان طرفًا فيها، وعلى رأس المصادر في ذلك صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد بن حنبل وغيرها.

كما رجعت إلى شروح الأحاديث مثل فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر رحمه الله، شرح النووي لصحيح مسلم، وأيضًا عون المعبود في شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، ومن المصادر المهمة في هذا البحث كتب السيرة النبوية، وخصوصًا سيرة ابن هشام والسيرة النبوية لابن كثير، وغيرها من مصادر السيرة المعتمدة.

وكذلك كتب التاريخ، ومنها كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير. كما استفدت من أنساب الأشراف للبلاذري، ونسب قريش للزبير بن بكار،

والمحبر لابن حبيب البغدادي، وما جمعوه من روايات، وكذلك كتاب منهاج السنة لابن تيمية ﷺ. وكذلك بعض كتب الفقه والأحكام السلطانية.

كما استفدت من مجموعة من الكتب التي تحدثت عن الصديق ﷺ مباشرة ومنها: كتاب: "الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق" لعلي محمد الصلابي، وكتاب: "الصديق أول الخلفاء". لعبدالرحمن الشرقاوي، وكتاب: "أبو بكر الصديق" لعلي الطنطاوي، وكتاب: "أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين" لمحمد رشيد رضا، وكتاب: "أبو بكر الصديق أفضل الصحابة. وأحقهم بالخلافة"[1] لمحمد بن عبدالرحمن بن قاسم، وكتاب: "أبو بكر الصديق" لمحمد مال الله، وكتاب: "أبو بكر الصديق" لنزار الحديثي، وكذلك ما كتبه راغب السرجاني، وغيرهم، وكانت استفادتي منها بالدرجة الأولى في الوصول لمصادر الروايات التي ذكروها.

---

(١) انظر: الإمام أحمد بن حنبل، كتاب فضائل الصحابة، ج١/٧٩.

إن أحسن ما نقوم به هو بيان فضل الصديق وأقرانه من صحابة رسول الله ﷺ؛ ليقفوا في وجه أعدائهم ممن استهدفوا الدين وحامل الرسالة ﷺ باستهداف حملته من أصحاب النبي ﷺ ونقلة الرسالة للأمة.

* * * * *

تمهيد:

عصر الرسول ﷺ هو العصر الذي عاش فيه أبو بكر الصديق ﷺ. وجيله أو قرنه هو جيل المصطفى ﷺ، وملازمته للرسول ﷺ بركة عليه، في دنياه وآخرته، تميز بها عن غيره، حيث عايشه،[1] وشاركه في أدق الحوادث في سيرته ﷺ، وصاهره، وأصبح يصاحبه داخل بيته، كما صاحبه في حله وترحاله.

لقد تعلم الصديق من رسول الله ﷺ، فهو تلميذه الأول، أعده المصطفى ﷺ للخلافة من بعده، ولقيادة الأمة في أصعب مراحلها، لتستكمل رحمة الله لخلقه، وتخلص الناس من العبودية لغير الله إلى عبودية الله الواحد الأحد. عصره امتدت فيه الفتن واشتدت الردة وقويت، فكان ﷺ لها. تصف عائشة بنت الصديق ﷺ الحال حينما تُوُفِّي رسول الله ﷺ بقولها: ((تُوُفِّي رسول

(١) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الخامس، المعايشون للمصطفى ﷺ.

الله ﷺ فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اِشْرَأَبَّ النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وعنائها في الإسلام)).[(١)]

عصره بداية الفتوح التي ما زال العالم يعيش نتائجها اليوم في المناطق التي امتد لها ومنها.

وكان الصديق رضي الله عنه يبشر بذلك أصحاب النبي ﷺ.[(٢)]

* * * * *

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٣١، ٤٣٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٧٧/٨.

عصر الصديق ﷺ:[1]

إن الحديث عن سيرة الصديق ﷺ الذي عاصر الرسول ﷺ يتطلب منا تحديد عصره الذي عاش فيه بدقة، حيث صاحبه أبو بكر الصديق، وقد كانا من جيل واحد، والعصر هو ما يعرف عند الباحثين بزمن الدراسة أو الإطار الزماني، وإن كان ما يرتبط بعلم السيرة النبوية يبدأ قبل ولادة الرسول ﷺ، ولذلك فإن البداية الزمنية لعصر الرسول ﷺ قبل ولادته وهو عصر الصديق بفترة يصعب تحديدها، لارتباط ذلك بحياة قريش في مكة، وبقريش ومكة، وما جرى من حوادث، إضافة إلى بعض الإرهاصات الأخرى التي سبقت النبي ﷺ، وصاحبه الصديق.

ويرى الكثيرون أن مولد النبي ﷺ هو بداية عصره ﷺ، وهذا هو الأرجح مع العلم أن عهد الرسالة أو النبوة يعد

(١) انظر كتابي: (الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي)، ص٣٨.

مـن بدايـة بعثتـه. وهـذا لا ينتفـي مـع الأول؛ إذ إن التـاريخ لحياته ليس خاصًا بما بعد البعثة، بل يشمل ما قبل ولادة المصطفى ﷺ، كما أن التاريخ عمومًا والحضاري منه خصوصًا يصعب تحديده بحدث واحد، فالاجتهادات والحوادث مترابطة.

ومولده ﷺ في يوم اثنين من عام الفيل. وهذا ثابت بنص حديث نبوي قال فيه ﷺ: ((ذاك يوم ولدت فيه ويوم بُعثتُ أو أُنزل عليَّ فيه))،[(١)] ويوافق سنة ٥٧١م.

ولا شك أن التحديد الزمني الدقيق لا ينطبق أحيانًا على عصر معين يكون امتداده فيما قبله، وخصوصًا في مثل الدراسات التاريخية والحضارية، فكل شخص يرتبط بالبيئة المحيطة به، وإن أمكن تحديد الزمن الذي عاش فيه الصديق رضي الله عنه من ميلاده إلى وفاته فلا يمكن

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، ج١٦٨/٣.

عزله عن عصر الرسول ﷺ فقد كان من جيله وعايشه ﷺ بكافة أحداث سيرته ﷺ حيث شاركه حياته.(١)

أما نهاية حياة الصديق ﷺ فهي موضع إجماع تام، حيث كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشر من الهجرة النبوية، وتوافق عام ٦٣٥م.(٢)

أما خلافة الصديق وعهده فهي المؤثر على كافة أصقاع الأرض دون استثناء، امتدادًا لبركة النبوة والرسالة وتأصيلاً لها وذكره ﷺ مستمر ما ذُكر رسول الله ﷺ وما ذُكر الإسلام ودعوته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولا شك أن زمنه وقرنه وجيله ﷺ أفضل القرون

(١) انظر: د. عبدالعزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، ص٣٨؛ ومحمد عزة دروزة، عصر النبي، ـ بيروت: دار اليقظة ١٣٨٤هـ.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣/٣٤٤؛ علي محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص٤٣٣.

و(الأجيال)، جيل النبي ﷺ وقرنه، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرن حتى كنت من القرن الذي كنت فيه))[(١)].

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج٤/١٦٦؛ وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، ما ذكر في الكف عن أصحاب النبي ﷺ، ج١٢/١٧٥ ـ ١٧٨.

موطن الصديق ﷺ:

مكة أو أم القرى[(١)] هي موطن النبي ﷺ، بها ولد الصديق ﷺ، وفيها تربى وترعرع وتزوج، وعمل وعاش معظم حياته، وربى ذريته، وعايش النبي ﷺ.

تقع مكة في بطن وادٍ، حيث وضع إبراهيم زوجته هاجر وابنها إسماعيل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم][(٢)].

كانت مكة موطن التوحيد الأول في بلاد العرب، منذ أيام سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث دعا

---

(١) أشهر من أن تعرف، وكتبت فيها وفي موقعها وجغرافيتها مؤلفات عديدة، منها: الأزرقي، **أخبار مكة**؛ والفاكهي، **أخبار مكة**؛ وابن فهد القرشي، **غاية المرام بأخبار البلد الحرام**؛ وكذلك **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**؛ والفاسي، **شفاء الغرام**، إضافة إلى عدد كبير من المؤلفات القديمة والحديثة يصعب حصرها.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٣٧.

إبراهيم لها ولأهله، وبنى الكعبة، وحج الأنبياء من بعده لهذا البيت والحرم، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].(١)

أما طبيعتها الجغرافية فتختلف عن كثير من أجزاء

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٩٧ ـ ٢١٢.

الجزيرة العربية، حيث تحيط الجبال بالوادي من كل مكان.

وتسكن قريش وأحلافها مكة، وهي قبيلة متحضرة ذات أسفار وتجارة، وعلاقات خارجية جيدة مقارنة ببقية القبائل والبلدان،[1] ويجاورها بالقرب من مكة كنانة والأحابيش يعيشون في الأودية القريبة منها، وهم حلفاء لقريش، ويعملون معها في حراسة قوافلها التجارية، التي كانت تربط الشام باليمن ويقوم عليها اقتصاد مكة، مع عمل بسيط في الحرف الأخرى، يأتي في مقدمتها الرعي وبعض الصناعات البسيطة، كما يوجد بعض الموالي في مكة، سواء من أصول إفريقية أم رومية أم عربية أحيانًا.

وترتبط مكة بأحلاف مختلفة تؤمن قوافلها التجارية، كما ورد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا

(١) طالع: أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، القاهرة: دار الفكر العربي (بدون تاريخ).

ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ [قريش].(١)

وكانت تجارة مكة مصدر رزق ورخاء، حيث تعد واسطة في التجارة بين أنحاء العرب، وكان الصديق رضي الله عنه أحد تجارها المعروفين.

كانت قريش تحاول الوقوف على الحياد في الصراعات القائمة بين قبائل العرب. ومع ذلك دخلت في حروب مع بعض القبائل المجاورة. ولا شك أن لذلك تأثيره على أهلها، ومنهم الصديق رضي الله عنه الذي مع شجاعته كان ميالاً إلى السلم.

عرفت مكة بوجود الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]،(٢) وكانت العرب مع وثنيتها تحج إليها.

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/٢٠٣٤ ـ ٢٠٣٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٢٠٤ ـ ٢٠٥.

كانت الكعبة رمزًا للتوحيد، استمر قرونًا عديدة، وقبل مبعث النبي ﷺ دُنست الكعبة من الداخل والخارج، كما دُنس محيط مكة عمومًا بأصنام مختلفة، تعبد من دون الله ـ تعالى ـ حتى أصبح الشرك والوثنية سائدًا في مكة بين أهلها. ولم يعرف التوحيد إلا في نفر قليل من (الأحناف) احتفظوا بالتوحيد لأنفسهم، وأنكروا على الناس عبادة الأصنام، ولم يسمع لهم أحد من أهل مكة.(١)

كان الصديق ﷺ كارهًا لما كان عليه أهل مكة من الشرك، وبهذا شارك النبي ﷺ حب التوحيد وكره الشرك، وكان بينهما تقارب ومحبة في أشياء كثيرة مشتركة.

كان العرب مع شركهم ينظرون لمكة موطن الحرم

---

(١) انظر: الموضوع الخاص بحال العرب قبل الإسلام في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الأول، علم السيرة النبوية ـ العالم والمصطفى والوحي؛
وانظر: جواد علي، المفصل، ج٦/٤٤٩.

نظرة خاصة، يقدسونها ويحرمون الاعتداء فيها، ويرونها آمنة دون غيرها، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

كما اعتبرت أم القرى مركزًا لما حولها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾[التين].

كان لاحترام مكة والكعبة دور كبير في إثارة غيرة أبرهة الحبشي وحفيظته قبيل مولد الصديق بسنتين تقريبًا، حيث كان يحكم اليمن وأقام لأهلها بيت (القُليس)،[(١)] فكانوا يسخرون منه ويمجدون الكعبة فوصل في حملته المشهورة سنة ٥٧١م.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٩١.

قبيل مولد الصديق ﷺ، وهو العام الذي ولد فيه النبي ﷺ، قاصدًا مكة لهدم الكعبة، حيث قابله عبدالمطلب جد النبي ﷺ وقال كلمته المشهورة: "للبيت رب يحميه، أو للبيت رب يمنع".(١) وفي رواية: "للبيت رب يمنعه"، ومع أبرهة قوة عظيمة، تتقدمها الفيَلة فسلط الله عليهم الطير الأبابيل(٢) كما ذكر الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[الفيل].

كانت مكة مقسمة إلى أرباع بين أقسام قريش وأفخاذها المختلفة، يمكن من خلالها تحديد مواطنهم وبيوتهم وتجمعاتهم داخل مكة، كما كانت لدى هذه الفصائل وظائف محددة في القبيلة، منها السقاية والرفادة، والراية.(٣) كما كانت تفرض العشور كنوع من الضريبة على التجار القادمين لمكة.

---

(١) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٩٢.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص٩٠.

(٣) انظر: تاريخ مكة، الأرزقي، ج١/١٠٧ ـ ١١٠.

واشتهرت مكة بدار الندوة،[(١)] التي يجتمع فيها أهل الرأي المعروفون في قريش بـ (الملأ)، وهم الزعماء الذين كانوا يسعون لقوة قريش ووحدتها.

وعشيرة النبي وهم بنو هاشم في مكة من أعلى عشائرها نسبًا وأكثرها خدمة لزائري مكة من الحجاج وغيرهم، فكانت لهم السقاية (سقاية الحجاج) والرفادة (إطعامهم) حتى لو اضطروا للاستدانة في بعض الأحيان للقيام بهذه الأمور.[(٢)]

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من تيم بن مرة من قريش، ويلتقي بنسبه مع النبي ﷺ في الجد السادس.[(٣)] كما كانوا متمسكين بجاهليتهم مدافعين عن ضلالات قريش؛ حفاظًا على موروثهم من عبادة الأصنام وغيرها، كما يظنون بكل جهل وعَمى بعيدًا عن الحق

(١) ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص٨٧.

(٢) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/٥٨؛ والأزرقي، تاريخ مكة، ص١١٠.

(٣) انظر: حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ص٢٧.

عصبية باطلة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف].

كان تفكيرهم ضعيفاً موروثًا بلا عقل، يقلدون مسائل محدودة، وتغيب عنهم المسائل الحاسمة.(١)

كانت مكة تموج بالشهوات، ففي وقت كانت قريش أحرص الناس على أعراض الحرائر من النساء،(٢) كان يباح للرجال كل شيء، حيث يتشاركون في الجارية الواحدة، يأتون خيام الدعارة التي عرفت فيها صاحبات الخيام من الداعرات اللاتي هن في الغالب من الإماء يتاجرون بفروجهن، ويستحللن ما يأتيهن من مال الزنا.(٣)

يشربون الخمر ويأكلون الربا ويأتون المعازف والمراقص وكل أسباب الهوى، تغلبهم الشهوات بحكم

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٧٨؛ وانظر: تفسير ابن كثير، سورة النور، ج٢/١٦٧٩.

(٢) انظر: أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص٩٣.

(٣) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في أحوال العرب، ج٢/٥٢؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، سورة النور، ج٢/١٣٣٢.

عدم إيمانهم بالبعث والحساب،[(١)] قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

ولعل تصوير جعفر بن أبي طالب ﷺ للنجاشي حالهم قبل البعثة أبلغ وصف، ينقله شاهد عيان معاصر معايش لهم: ((أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبدالأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف))[(٢)].

كان الشِّرك يضرب بأطنابه في مكة، فالكعبة مليئة بالأصنام والصور وساحة الحرم كذلك، لا يكاد يوجد بيت من بيوت مكة إلا وله أصنامه الخاصة.[(٣)]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، سورة الجاثية، آية: ٢٤، ج٢/١٦٩٩؛
وانظر: موطن الرسول ﷺ، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الأول، علم السيرة النبوية ـ العالم والمصطفى والوحي.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٧٨.

وقد هاجر الصديق ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مع رسول الله ﷺ، وفي بداية هجرته كان يحن إلى مكة ﷺ. ويصبر ويتجلد.

وحينما مرض أبو بكر الصديق ﷺ بحمّى المدينة نقلت عائشة ﷺ الخبر لرسول الله ﷺ، فدعا دعاءه المشهور: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصحِّحها، وبارك لنا في مُدّها، وصاعها، وانقل حُمّاها واجعلها في الجحفة)).(١) فأحب الصديق المدينة، فأصبحت موطنه، فكان له بها سكن ومزرعة وأهل. وعاش فيها بقية حياته مجاورًا لرسو الله ﷺ حتى توفي ودفن فيها بجوار رسول الله ﷺ.

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء يرفع الوباء والوجع، ج ١٦٠/٧.

نسب الصديق رضي الله عنه:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. ويسمى باسم (عتيق)[(١)] يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، كنيته أبو بكر. ولد أبي بكر بعد الفيل بسنتين وستة أشهر.[(٢)] وتوافق سنة ٥٧٣م.[(٣)]

وقد أسلم والده أبو قحافة عثمان عام فتح مكة على يد رسول الله ﷺ، فسر بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه.[(٤)]

---

(١) انظر: زنجويه، أبو بكر محمد بن حاتم، الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق، ص٤٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١، ٤٦١.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١.

(٣) انظر: حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ص٢٧.

(٤) انظر: زنجويه، أبو بكر محمد بن حاتم، الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق، ص٤٧؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ج١/٧٤؛
ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٧؛=

وأمه هي (أم الخير) ابنة صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وقد أسلمت مبكرة، في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنها.(١)

وكان له من الأبناء عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي أشهرهم، وعبدالرحمن شقيق عائشة، وأمهما أم رومان، وأسماء وهي زوجة الزبير بن العوام وأم عبدالله بن الزبير، وأكبر بنات أبي بكر رضي الله عنه وشقيقها عبدالله وأمهما قتيلة بنت عبدالعزى، ومحمد بن أبي بكر، وأمه أسماء بنت عميس، فهو أخ لأبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لأمهم، وأم كلثوم، وهي بنت لزوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية، ولدت بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه.(٢)

=(وقيل إن سبب تسميته بـ [عتيق] قوله ﷺ من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر) وقيل في سبب التسمية أن وجهه عتيق أي وضاء، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١.

(١) انظر: زنجويه، أبو بكر محمد بن حاتم، الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق، ص٥١؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ص٧٥.

(٢) انظر: محمد حامد الخليل، إمام الأمة أبو بكر الصديق، ج١/١٢٤ ـ ١٢٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ص١٥٥ ـ ١٥٧.

ولأبي بكر من الأخوات أم فروة، تزوجت من الأشعث ابن قيس الكندي، وقريبة وهي شقية لأم فروة، تزوجت من قيس بن سعد بن عبادة.[1]

* * * * *

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٢٤٩.

ألقابه ﷺ:

أبو بكر:

له ﷺ العديد من الألقاب التي عرفته بها الأمة، وبمجرد إطلاق اللقب ينصرف إليه ﷺ مباشرة ولعل أشهرها هو: أبو بكر ﷺ وبه عُرف في الأمة، بل ينصرف له اللقب بمجرد ذكره ﷺ.

الصدِّيق:

الصديقية هي أعلى مرتبة بعد مرتبة النبوة، وتعني الانقياد الكامل والاستسلام ظاهرًا وباطنًا لله ـ تعالى ـ ولرسوله ﷺ.

والصدِّيق منزلة أعلى من الصادق، والصدِّيقون: هم أفضل الخلق بعد الأنبياء.[1]

ومنزلة الصدِّيقين عند الله منزلة خاصة وصف بها

---

(١) انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص١٨.

بعض عباده، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].(١)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد].(٢)

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ عن مريم عليها السلام: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة].(٣)

وقال الله ـ تعالى ـ عن يوسف عليه السلام: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٠٤ ـ ٥٠٥.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٢٩.
(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٣٨ ـ ٦٣٩.

سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف].(١)

وقال الله ـ تعالى ـ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم].(٢)

وقال الله ـ تعالى ـ عن إدريس عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم].(٣)

ومن فضائل أبي بكر رضي الله عنه أنه الصحابي الوحيد الذي بلغه الله هذه المنزلة، فلُقِّب بالصدِّيق؛ وشهد له النبي ﷺ بالصدِّيقية.

وهو أشهر ألقابه رضي الله عنه ولعل معنى اللقب يعني الصادق المصدق، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر]. وإن(٤)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٨٥ ـ ٩٨٦.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٨٩.
(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٩٢.
(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٢١.

كانت الآية في الأنبياء ومن صدقهم وآمن بهم، لكن يستأنس بها في الرسول ﷺ ومن صدَّقَه، وأول من تنطبق عليه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أول المؤمنين برسول الله ﷺ والمصدقين له.

وسبب تسميته بالصديق تميز أبي بكر الصديق رضي الله عنه في صبيحة الإسراء بموقفه من رسول الله ﷺ وتصديقه فيما قال دون تردد. فقد فرح المشركون بحديث الرسول ﷺ عن الإسراء، وهم يعرفون عقل أبي بكر الصديق وتمحيصه للأخبار، لكنهم لا يقيسون بنفس مقاسه وبعد نظره ونظرته للرسول ﷺ وإيمانه وثقته التامة به وبما يأتي به ﷺ.

فسارع أناس من مشركي مكة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأخبروه بما قال ﷺ عن الإسراء والمعراج فقال رضي الله عنه: ((والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك؟! فوالله إنه ليخبرني بالخبر يأتيه من السماء في ساعة ليل أو نهار فهذا أبعد مما تعجبون

منه)).[١] ثم إن الصديق ﷺ أقبل على النبي ﷺ يسأله أمام القوم ليصدقه، فكلما تحدث النبي ﷺ وذكر شيئًا قال له: صدقت، فيقول له النبي ﷺ: ((وأنت يا أبا بكر الصديق)).[٢]

إنه موقف العقل والإيمان وبعد النظر والتوفيق من الله ﷻ . لقد ذكر الصديق ﷺ أن أمر النبوة والصلة بالسماء والأرض ونزول الوحي أعظم من أن يخبرهم برحلة قطع ﷺ المسافة فيها من مكة إلى بيت المقدس وعاد في ليلة واحدة.

أثبت الصديق من هذا الحادث تميز مقاييسه، وأن إيمانه بالوحي يشمل كل ما يحدث به ﷺ سواء هذا الحادث أم غيره، وأن الرسول ﷺ لا يكذب، وأن كل ما يقوله صدق إذا ثبت عنه. ومن هنا استحق اللقب الذي

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٩٩؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٧.

(٢) الحاكم، المستدرك، ج٣/٦٣؛ وصححه الذهبي؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٩٩.

أطلقه عليه رسول الله ﷺ (الصديق). ويرى ابن حجر: أن هذه التسمية كانت بوحي من الله ﷻ.(١)

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أُحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: ((اثبت أُحُدُ؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)).(٢)

ثاني اثنين:

من أعظم مناقبه رضي الله عنه(٣) اسم أطلقه الله ﷻ على الصديق رضي الله عنه وسارت عليه الأمة إنطلاقًا من قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٠٧؛ محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٤١٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متحذًا خليلاً))، ج٤/١٩٧.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٣.

سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].(١)

نزلت هذه الآية في سورة التوبة عند غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، وهي تؤكد صحبة الصديق رضي الله عنه للرسول ﷺ يقول ابن كثير في تفسيره: ((يقول تعالى: إلا تَنْصُرُوهُ أَيْ تَنْصُرُوا رَسُولَهُ فَإِنّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ وَحَافِظُهُ كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ أَيْ عَامَ الْهِجْرَةِ لَمّا هَمّ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ نَفْيِهِ فَخَرَجَ مِنْهُمْ هَارِبًا بصحبة صِدّيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَلَجَأَ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ ثَلاثَةَ أَيّامٍ لِيَرْجِعَ الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَجْزَعُ أَنْ يَطّلِعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ فَيَخْلُصَ إلى رسول الله ﷺ مِنْهُمْ أَذًى فَجَعَلَ النّبِيُّ ﷺ يُسَكِّنُهُ وَيُثَبِّتُهُ وَيَقُولُ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

كَمَا روى الإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنّ أَبَا بَكْرٍ حَدّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنّبِيّ ﷺ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ قال: فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» أَخْرَجَاهُ فِي الصّحِيحَيْنِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ: أَيْ تَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عليه أي على الرسول ﷺ فِي أَشْهَرِ الْقَوْلَيْنِ وَقِيلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ وَغَيْرِهِ قَالُوا: لأَنّ الرسول ﷺ لَمْ تَزَلْ مَعَهُ سَكِينَةٌ وَهَذَا لا يُنَافِي تَجَدُّدَ سَكِينَةٍ خَاصّةٍ بِتِلْكَ الْحَالِ وَلِهَذَا قَالَ: وَأَيّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا أَيِ الْمَلائِكَةِ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة اللَّهِ هِيَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)).[1]

وقد ألفت كتب في سيرة أبي بكر الصديق باسم:

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣؛
وابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٣.

(ثاني اثنين).[1]

الأتقى:

لقَّبه به اللّٰهُ ﷻ في القرآن العظيم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل]. وقد أكد عدد من المفسرين أنها نزلت في الصديق رضي الله عنه.[2]

الصَّاحب:

لَقَّبه به اللّٰه ﷻ في القرآن الكريم، قال اللّٰه ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

---

(١) انظر: أدهم عبدالحليم شرقاوي، ثاني اثنين، ـ بيروت: كلمات للنشر والتوزيع ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣؛
وابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٣.

كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].(١)

وقد أجمع العلماء على أن الصاحب المقصود هنا أبو بكر ﷺ، فعن أنسٍ أنَّ أبا بكرٍ حدَّثه فقال: قلت للنبيِّ ﷺ وهو في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه فقال النبيُّ ﷺ: ((يا أبا بكر! ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما)).(٢)

قال الحافظ ابن حجر ﷺ بعد ذكر الآية: فإنَّ المرادَ بصاحبه هنا أبو بكر بلا منازع، والأحاديث في كونه

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣؛
وابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار ...، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ج٤/١٩٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٧/١٠٨؛ والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب (١٠)، ج٥/٢٧٨، ح برقم: ٣٠٩٦.

كان معه في الغار كثيرةٌ شهيرةٌ، ولم يَشْرَكْهُ في المنقبة غيره.

ولا عبرة لبعض الأصوات التي تسعى إلى التشكيك في صحبة أبي بكر الصديق ﷺ لرسول الله ﷺ في هجرته للمدينة المنورة وكونه كان معه في الغار.

وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا بعنوان: (قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً) روى فيه عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي)).(١)

عتيق الله من النار:

لقب النبي ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ بـ (عتيق)، فعن عبدالله بن الزبير ﷺ قال: ((إن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر ﷺ فقال: هذا عتيق الله من النار)). فمن يومئذ

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩١.

سمي: عتيقًا، وكان قبل ذلك اسمه: عبدالله بن عثمان.[١]

وعن أبي حفص عمرو بن علي أنه كان يقول: كان أبو بكر معروق الوجه، وإنما سمي عتيقًا لعتاقة وجهه. وكان اسمه: عبدالله بن عثمان. وقد روي أن رسول الله ﷺ سماه عتيقًا من النار.[٢]

خليفة رسول الله ﷺ:

عند وفاة الرسول ﷺ صار الصحابة يبحثون عن خليفة لرسول الله ﷺ، ومنذ أن بويع الصديق بالخلافة عُرف بخليفة رسول الله ﷺ، واستمر هذا اللقب له في الأمة.[٣] وكان يكتب في رسائله وأمرائه ((بسم الله الرحمن

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، كتاب المناقب، باب ما جاء في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج٩/٤٠؛
البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٤٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب (١٧)، ج٥/٦١٦، ح برقم: ٣٦٧٩.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١.

الرحيم. هذا عهد أبي بكر عبدالله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ)).[١]

ثم عرف عمر من بعده بخليفة خليفة رسول الله ﷺ إلى أن اقترح له اسم أمير المؤمنين فاشتهر به رضي الله عنه.[٢]

* * * * *

(١) انظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/٢٨؛
ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١.
(٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٦٧٨ ـ ٦٨٠.

صفاته ﷺ الجسدية:

صفات أبي بكر الصديق الجسمية تعرضت لها بعض الروايات، فذكر أنه أبيض البشرة. وكان بياضه مخالطًا بصفرة. نحيف الجسم خفيفه مع قامة حسنة. ناتئ الجبهة (أي بارزها). معروق الوجه، وكانت عيناه غائرتين، وكان عارضاه (جانبا الوجه) خفيفين. مع وجود ميل في ظهره، ساقاه كانتا دقيقين غليظ الفخذين، مشرف الوركين وعاري الأصابع، يختضب بالحناء والكتم.(١)

* * * * *

(١) انظر: زنجويه، أبو بكر محمد بن حاتم، الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق، ص٤٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣٤١/٢، ٣٤٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٥٢/٨، ١٧١.

حياته ﷺ قبل الإسلام:

كانت للصديق ﷺ مكانته في قريش، محببًا فيهم خبيرًا بأنساب العرب وأيامهم.(١) وكان قومه يألفونه ويقدرون علمه وإحسانه، حيث كان يسعى للصلح بينهم عند الحاجة ويتحمل لذلك أمورًا مادية ومعنوية.(٢) ولعل في بعض الأحداث ما بعد إسلامه ما يدل على حياته وأخلاقه قبل ذلك فقد كان لحسن حديثه ومجالسته للناس محل ثقتهم، وذلك مما ساعده في نشر الإسلام في أول الدعوة، ودخول كثير من المسلمين الأوائل في الدين على يديه بسبب هذه المعرفة والثقة، مع تصديقهم بالدين، وفي صحيح البخاري عن عائشة ﷺ قالت: لما أُبتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد.(٣) فلقيه ابن الدغنة سيد من سادات العرب فقال:

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٣.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٤؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ص٨٢.

(٣) موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر من تهامة. تقع جنوب القنفذة على طريق اليمن قرب وادي حلي وتبعد عن مكة حوالي (٤٥٠) كلم. (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج١/٣٩٩).

أين تريد يا أبا بكر؟ فقال ﷺ: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يُخرج ولا يَخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع واعبُد ربك ببلدك، فرجع أبو بكر ﷺ وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، وقال لهم: «إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟» الحديث.(١) قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت لما أمره هجاء قريش: «لا تعجل إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبًا حتى يُخلص لك نسبي».(٢)

وأخرج ابن إسحاق قال: كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، وكان يقول: إنما

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ص٩٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ، ج١٦٤/٧.

أخذت النسب من أبي بكر الصديق.[١]

وقد وصفه ابن الدغنة بحضرة أشراف قريش بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي.[٢]

ولم يعلم أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا نقصه ولا استرذله، كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين. ولم يكن له عيب عندهم إلا الإيمان بالله ورسوله.[٣]

كان ﷺ معروفًا في التجارة بمكة قبل إسلامه.[٤] يعمل بجد في تجارة البز، وبعد هجرته للمدينة استمر في التجارة حتى خلافته ﷺ. ولعله وغيره من المهاجرين كانوا سببًا في زيادة التجارة في سوق المسلمين بالمدينة تدرَّجًا؛ نتيجة نشاط المهاجرين الذين كان أغلبهم من قريش، والتجارة تجري في عروقهم، فكان أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ ممن يعملون في البيع والشراء، وكان

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٠.
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٩.
(٣) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٠.
(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٣٤٣/٢.

عثمان ﷺ وطلحة بن عبيدالله ﷺ ممن يبيعون (البُر) في سوق المدينة، كان الزبير ﷺ معهم وهم ﷺ تجار قافلون من الشام، فكسا الزبير ﷺ رسول الله ﷺ وأبا بكر ﷺ ثيابًا بيضاء.(١)

صحبته ﷺ للنبي ﷺ قبل الإسلام:

كان للرسول ﷺ أصحاب صدق متميزون عرفوا بصدقهم وعلو أخلاقهم قبل بعثته ﷺ، بل في المراحل الأولى من عمره، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ﷺ،(٢) الذي كان قريبًا من سن رسول الله ﷺ بينهما سنتان، مألوفًا في قريش إضافة إلى أصدقاء آخرين أمناء، ورد ثناء الرسول ﷺ عليهم.(٣)

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٤٩؛ وانظر موضوع الهجرة النبوية من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ــ دين ودولة)، القسم الثاني، الاضطهاد والهجرة والتنمية.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٥٠؛
ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤١.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٤.

وبما أن الصديق ﷺ كان تاجرًا، ورسول الله ﷺ عمل لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ في التجارة، فلا يستبعد وجود بعض التعامل التجاري بينهما. وكلهم من أهل الصدق. وهذا يولد مزيدًا من الثقة.

لا شك أن المشاركة في الصفات تزيد من التآلف. وقد اشترك ﷺ مع رسول الله ﷺ في حبه للتوحيد وكرهه للأصنام، وبعده عن الخمر والفاحشة وما يقرب إليها، وحرصهما مع على مكارم الأخلاق.(١)

كما اشترك مع النبي ﷺ في التواضع والرحمة وعدم احتقار الآخرين، من الموالي وغيرهم. فكان يكثر لقاؤهما ببعض.(٢)

ولا شك أن كون الصديق أول من أسلم دليل على حسن العلاقة بالرسول ﷺ والثقة المتبادلة بينهما، ولذلك

---

(١) انظر: علي سعد علي حجازي، هدي الطريق من سيرة أبي بكر الصديق، ص١٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣٤٤/٢.

(٢) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمود العظم، ج١٤٦/٨.

اختاره ﷺ ليعرض عليه الإسلام ﷺ. وقد أكد بعض العلماء محبة النبي ﷺ له قبل البعثه، وإسرار النبي ﷺ له ببعض خصوصياته.[(١)]

عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: ((أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر معه وهو آخذ بأيديهما، فقال: هكذا نبعث يوم القيامة)).[(٢)]

* * * * *

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ص٩٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما ﷺ، ج٥/٦١٢، ح برقم: ٣٦٦٩.

إسلامه ﷺ:

الناس متنازعون في أول من أسلم فقيل: أبو بكر أول من أسلم.

فهو أسبق إسلامًا من علي، وقيل: إن عليًّا أسلم قبله، لكن عليًّا كان صغيرًا، ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع؛ فيكون هو أكمل سبقًا بالاتفاق، وأسبق على الإطلاق على القول الآخر.(١)

وبالتالي فأول من أسلم وآمن برسول الله ﷺ من الرجال أبو بكر الصديق ﷺ،(٢) وهو صاحب رسول الله ﷺ منذ وقت مبكر، ربطتهما علاقة خاصة،(٣) عرف كل منهما صدق الآخر وجربه وعرف أمانته،(٤) وكأن

---

(١) انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص١٨.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٣٠.

(٣) انظر: البلاذي، أنساب الأشراف، ج١٤٦/٨.

(٤) انظر: فضائل الصحابة عند البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج١٩٢/٤.

الصديق ينتظر مثل هذا الأمر من رسول الله ﷺ. وقد استعدّ نفسيًا لقبول دعوة الرسول ﷺ دون أي تلكؤ، كما قال ﷺ: ((ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم حين دعوته ولا تردد فيه))[(١)].

وقد روي عن مجاهد قال: ((أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية أم عمار))[(٢)].

ولا شك أن الصديق رضي الله عنه أسلم على يد رسول الله ﷺ في الأيام الأولى للبعثة. وقد وضع البخاري في صحيحه باب (إسلام أبي بكر الصديق)، [(٣)] روى فيه عن عمار بن ياسر قال: ((رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أعبدٍ

---

(١) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص١٣٦؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١/٩٥.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج٤/٢٤٠.

وامرأتان وأبو بكر)).[١]

وقد أشار حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ فيما نقل ابن عباس ﷺ من شعره إلى مبادرة الصديق إلى الإسلام في قوله:

إذا تَذَكَّرتَ شَجوًا مِن أَخي ثِقَةٍ
فَاذكُر أَخاكَ أَبا بَكرٍ بِما فَعَلا
خَيرَ البَرِيَّةِ أَتقاها وَأَعدَلَها
إِلا النَبِيَّ وَأَوفاها بِما حَمَلا
وَالثانِيَ الصادِقَ المَحمودَ مَشهَدُهُ
وَأَوَّلَ الناسِ مِنهُم صَدَّقَ الرُسُلا[٢]

وقد نال أبا بكر الأذى من قريش بسبب إسلامه، كما نال رسول الله ﷺ. وقد شارك قومه في الدفاع

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/٢٤٠؛ وانظر: شرح ابن حجر، فتح الباري، ج١٥/١٢.
(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٢٥.

عنه.[١]

كان إسلام الصديق ﷺ دون تردد، مما جعل الرسول ﷺ يشير إلى ذلك في قوله: ((إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي)).[٢]

كان إسلام أبي بكر بركة على الناس، فبعد إسلامه كان الداعية الأول لرسول الله ﷺ، فأسلم عَلَى يديه الرعيل الأول من الصحابة، وفيهم معظم العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن ابن عوف، وأبو سلمة بن عبدالأسد، والأرقم ابن أبي الأرقم ﷺ.[٣]

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/١٩٢.

(٣) علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٩.

لقد أحسن الصديق اختيار الرجال الذين كانوا نواة أمة الإسلام، وحملة الرسالة إلى العالم، ولذلك كان ﷺ يقول عن الصديق: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر))[١]. كما كان يسمى الأواه لرأفته ورحمته.[٢]

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أسلم أهل بيت أبي بكر الصديق، زوجته وبناته وأبناؤه وخادمه، كما أسلم والده متأخرًا بعد الفتح.[٣] وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا بعنوان: (قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً) كما أوردنا سابقًا، روى فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي))[٤] ـ كما مرَّ ذكره ـ.

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح، ج٢/٨؛ (نقلاً عن الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٧).

(٢) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٥٤.

(٣) الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٩؛ انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص١٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩١.

وقد ذكرنا محاولة الصديق الهجرة إلى الحبشة، مع بقية الصحابة بعد التوجيه النبوي، فرده ابن الدغنة وهو من زعماء بني الهون بن خزيمة وأجاره بمكة أمام قريش، وقال: مثلك لا يخرج يا أبا بكر.

وكان أبو بكر يصلي بفناء داره فيعلن قراءته فيتأثر به شباب ونساء قريش، فطلب القوم من ابن الدغنة أن يمنعه من الجهر بقراءته أو يرد جواره، فقال أبو بكر: إني أرد جوارك، ورضي بجوار الله ﷻ وتحمل ما أصابه من أذى.(١)

واستمر الصديق ملازمًا رسولَ الله ﷺ بمكة، وكان الرسول ﷺ يخرج إلى أسواق العرب المجاورة لمكة يعرض الإسلام على الناس وبصحبته الصديق مشاركًا له في الدعوة.(٢)

وحينما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٦٣.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤.

الحج كان رفيقه الملازم والمشارك له هو الصديق ﷺ، وكانت معرفته بالقبائل عونًا لهما في الحديث لرجال القبائل، ولفْتِ انتباههم وعرض الدعوة عليهم.(١)

كما وردت رواية أخرى عن ابن عباس ﷺ قال: ((إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وُضِع على سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر. فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب)).(٢)

* * * * *

(١) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثاني، الاضهاد والهجرة والتنمية.

(٢) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩٧.

أخلاقه ﷺ:

الصديق ﷺ تلميذ رسول الله ﷺ الأول والأنجب. ولذلك تأثيره على أخلاقه التي استقاها من رسول الله ﷺ.

من أبرز أخلاق الصديق ﷺ كرمه وسخاؤه، وقد نفع الله المسلمين بماله منذ أول الإسلام، حيث قام بشراء المعذبين المسلمين من الجواري والموالي من حر ماله وأعتقهم لوجه الله، وعلى رأس هؤلاء بلال بن رباح.(١) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾[الليل].

ولذلك وغيره قال فيه رسول الله ﷺ: ((ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مالُ أبي بكر))(٢).

شجاعته ﷺ:

كانت من أبرز أخلاقه وسجاياه ﷺ. فقد كان

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٥٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٥٣؛ والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب (١٥)، ج٥/٦٠٩، ح برقم: ٣٦٦١.

إسلامه بحد ذاته شجاعة تبعها غضب قريش وعداوتهم له كما كان يدافع عن رسول الله ﷺ في مكة ويتحمل عنه الأذى بكل شجاعة، وقد نال الصديقَ ﷺ الأذى مع رسول الله ﷺ فكان يفديه بنفسه.

روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: ((سألت عبدالله ابن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات؟))[1].

كانت صحبة أبي بكر ﷺ لرسول الله ﷺ في الهجرة واستعداده لأن يفديه بنفسه منتهى الشجاعة في وقت كانت قريش تطلب قتل الرسول ﷺ كما قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال].

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب من لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ج٤/ ٢٤٠.

فقد مكث رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ثلاثة أيام في غار حراء في جبل ثور جنوب غرب مكة، عكس اتجاه الطريق إلى المدينة؛ زيادة في السرية وبعيدًا عن الطلب.

وقد جعلت قريشٌ جائزة مقدارها مئة من الإبل لمن يأتي برسول الله ﷺ حيًّا أو ميتًا،[1] مما دفع الكثيرين للبحث عن رسول الله ﷺ ومعه الصديق رضي الله عنه بجدية تامة في كل اتجاه وطريق قريبًا من مكة.

ففي رواية البراء بن عازب رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة: ((... ثم قلت: اضطجع يا رسول الله! فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا ...، ثم قلت: أتى الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أما والله

(١) انظر: صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٦؛ أكرم العُمري، صحيح السيرة، ص٢٣٩.

ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم اكفناه بما شئت، قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأُعمِّين على من ورائي من الطلب، ...))[1].

وحينما أُذن لرسول الله ﷺ بالقتال كان أبو بكر رضي الله عنه معه في كل الميادين دون استثناء، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في أي موضع.

وله مواقف خاصة في غزوة بدر،[2] حيث كان مع المصطفى ﷺ. ويصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه شجاعة الصديق في هذا الموقف بقوله: ((إنه خَطَبَهم فقال: يا أيها

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٤٥؛ وانظر: جزء من الرواية عند البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٥٧.

(٢) انظر: غزوة بدر، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثالث، إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا.

الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما أني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحادّه، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. فهذه خصوصية للصديق، حيث هو مع الرسول في

العريش، كما كان معه في الغار ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء، ويقول فيما يدعو به: "اللهم إنك إن تهلك هذا العصابة لا تعبد بعدها في الأرض". وجعل يهتف بربه ﷻ ويقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك"، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك)).[1]

ولذلك كان الصديق أول من تلقى البشارة من رسول الله بالنصر، حيث قال له: ((أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ براية بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع)).[2]

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٢٧٢؛ الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٨٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٢٤. والنقع هو الغبار.

وكان له ﷺ مواقف في أُحُد وبني قريظة والخندق والحديبية، وفتح مكة، بان فيها رأي أبي بكر المباشر في هذه الغزوات وغيرها.[1]

وحينما مرض رسول الله ﷺ لازمه الصديق ﷺ، خصوصًا أن تمريض المصطفى قبيل وفاته كان في منزل عائشة بنت الصديق ﷺ وليس لها حجاب عنه. ولم يتركه ﷺ إلا في اليوم الذي توفي فيه، حينما رآه قد نشط فاستأذن من الرسول ﷺ في أن يزور بيته الآخر في السُنح أطراف المدينة، فأذن له المصطفى ﷺ وقبض رسول الله ﷺ فجر ذلك اليوم.

فأسرع الناس إلى استدعاء أبي بكر الصديق ﷺ، فهو رجل الموقف ثباتًا ورأيًا وإيمانًا واستحضارًا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكأنه أُعِدَّ لهذا الموقف وتلك المقولة، وذلك الفقه العظيم، حيث قال للناس: ((من كان يعبد

(١) تابع كل غزوة في موضعها، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثالث، إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا.

محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبدالله فإن الله حي لا يموت)).[١]

عند بيعة الصديق كانت الخلافة الإسلامية قد امتدت أيام الرسول ﷺ إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية، ووصلت أطراف الشام، واحتكت جيوشها بالروم في مؤتة، وأعدّ ﷺ جيشًا بقيادة أسامة بن زيد ﷺ لغزو بلاد الروم. ومات ﷺ قبل مسير الجيش.[٢]

وقدحدثت الردة في أنحاء كثيرة من الخلافة والقبائل قبيل وفاته ﷺ. ورغم الصعوبات والخوف فقد أصر الصديق ﷺ على تسيير جيش أسامة بن زيد ﷺ الذي أمر به رسول الله ﷺ برغم معارضة بعض الصحابة، وقال قولته المشهورة؛ ((والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع

---

(١) راجع تفاصيل في موضوع وفاة الرسول ﷺ، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ــ دين ودولة)، القسم الرابع، العالمية والدولة الإنسانية.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة ابن زيد ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، ج٥/١٤٥.

تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ)).
وفي رواية: ((والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إليَّ من أن أحبس جيشًا بعثه رسول الله ﷺ)).[(١)]

وقد خرج بنفسه ﷺ لوداع الجيش وأوصاه بعدة وصايا هي نبراسٌ لآداب الحروب وأخلاقياتها. وبعد عودة جيش أسامة كوَّن الصديق أحد عشر جيشًا لحرب المرتدين في مختلف أنحاء بلاد العرب كانت بقيادة خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، وخالد بن سعيد بن العاص، والمهاجر بن أُميَّة، وعمرو بن العاص، والعلاء بن الحضرمي ﷺ، وغيرهم.[(٢)] وقامت تلك الجيوش المختلفة بحركات عسكرية قوية ضد المرتدين في كل بلاد العرب من اليمن وعُمان وحضرموت ونجد واليمامة. وكانت أشهر معاركها موقعة اليمامة في بني

(١) الطبري، تاريخه، ج٢١٢/٣؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٢؛ وانظر: علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٢١٨. (سيتم الحديث عن وصيته ﷺ لاحقًا).
(٢) الطبري، تاريخه، ج٢٢٥/٣.

حنيفة، حيث قُتِل مسيلمة الكذاب واستشهد من المسلمين قرابة تسع مئة منهم ثلاث مئة وستون من أصحاب رسول الله ﷺ.(١)

ولشجاعته ﷺ فقد خرج بنفسه وخرج معه الصحابة، ومنهم علي ﷺ في أول غزوة غزاها بعد وفاة الرسول ﷺ إلى ذي القصة لقتال أهل الردة.(٢) وصدق في أبي بكر وعلي قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة]، فكانوا يحبون الله ويجاهدون في سبيله.

* * * * *

(١) راجع: خليفة بن خياط، ص١١٠، ١١١؛ والطبري، تاريخه، ج٢٥٢/٣؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ص٥٣ ـ ٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣٦٤/٢؛ وانظر: عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور (موقعة اليمامة)، ص١٠٣.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣٩٨/٤.

صبره وتحمله ﷺ:

اشتهر ﷺ بتحمله الأذى وصبره، وحين زاد الأذى على المسلمين بمكة حاول الصديق ﷺ الهجرة إلى الحبشة، فرده ابن الدغنة وهو من زعماء بني الهون بن خزيمة وأجاره بمكة أمام قريش، وقال: مثلك لا يخرج يا أبا بكر ـ كما مرَّ ذكره ـ.

وكان أبو بكر يصلي بفناء داره فيعلن قراءته فيتأثر به شباب ونساء قريش، فطلب القوم من ابن الدغنة أن يمنعه من الجهر بقراءته أو يرد جواره، فقال أبو بكر: إني أرد جوارك، ورضي بجوار الله ﷻ وتحمل ما أصابه من أذى.[1] ـ كما مرَّ ذكره ـ.

ومن المعلوم دفاعه عن رسول الله ﷺ كما ورد سابقًا. وهو الذي تحمل ضرب قريش له ويحول بينهم وبين أذى الرسول ويردد: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٦٣.

الله؟[١] ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون.[٢]

ومن المعلوم حرص الصديق ﷺ على الدعاء، وذلك مما تعلمه ﷺ عن رسول الله ﷺ. وقد أورد الغزالي شيئًا من دعاء الصديق ﷺ وما أورده محل نظر عندي، إذ أن فيه شيئًا من التكلف الذي لم يعرف في السنة عن الصحابة.[٣]

تواضعه ﷺ:

ورد عن ابن عمر ﷺ قال ﷺ: ((من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. قال أبو بكر: يا رسول الله،

---

(١) انظر: علي الصلابي، الإنشراح ورفع الضيق في فضل أبي بكر الصديق، ص٣٨.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٢٧٢؛ الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٨.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١/٣١٤.

إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال النبي ﷺ: لست ممن يصنعه خيلاء)).[(١)]

كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ فقال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئًا.[(٢)]

حلمه رضي الله عنه:

وقد أشار الرسول ﷺ إلى لين قلب أبي بكر فيما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأصلك، اسْتَبْقِهِم واسْتَتِبْهُم، لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله: كذبوك وأخرجوك قدِّمهم نضرب أعناقهم، وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله أنت في وادٍ كثير الحطب فأضرم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب من جرَّ إزاره من غير خيلاء، ج٧/٣٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/١١.

الوادي عليهم نارًا، ثم ألقهم فيه، فقال العباس: قطع الله رحمك، قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم، ثم قام فدخل، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبدالله ابن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله لَيُلِيْنُ قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] وإن مثلك يا عمر مثل موسى، قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[3] وإن مثلك يا عمر مثل نوح، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.[4] أنتم عالة

(١) من الآية رقم (٣٦)، من سورة إبراهيم.
(٢) من الآية (١١٨)، من سورة المائدة.
(٣) من الآية (٨٨)، من سورة يونس.
(٤) من الآية (٢٦)، من سورة نوح.

فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق)).[(١)]

حزمه ﷺ:

كان ﷺ حازمًا في كل أموره على الحق مع ماعرف عنه من حلم ولين، فموضع الحزم لم يكن ﷺ مترددًا فيه. ولعل مواقفه المتعددة توضح بجلاء قوته وحزمه.

تصف عائشة بنت الصديق ﷺ الحال حينما تُوُفِّى رسول الله ﷺ بقولها: ((تُوُفِّى رسول الله ﷺ، فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اِشْرَأَبَّ النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وعنائها في الإسلام)).[(٢)]

وفي حروب المرتدين استدعى الأمر من الصديق

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص١٩٥، ١٩٦؛ وانظر: الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ج٥/٢٧١، ح برقم: ٣٠٨٤؛ وراه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ج٥/١٥٦ ـ ١٥٨.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٣١، ٤٣٢.

مشاورات مع بقية الصحابة حول الموقف وما ينبغي اتخاذه، وكان رأي الصديق هو الصائب ومعه الدليل الشرعي من سنّة رسول الله ﷺ في كل ما اتخذ من مواقف،[١] حيث أصر على تسيير جيش أسامة بن زيد ﷺ الذي أمر به رسول الله ﷺ برغم معارضة بعض الصحابة وقال قولته المشهورة؛ ((والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ)). وفي رواية: ((والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إليَّ من أن أحبس جيشًا بعثه رسول الله ﷺ)).[٢] وقد خرج بنفسه ﷺ لوداع الجيش وأوصاه بوصايا حضارية إنسانية في حفظ الأرواح والأموال وعدم الإفساد في الأرض وعدم الاعتداء على النساء والأطفال والمسالمين. وجاء في نص الوصية ((أيها الناس، لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا، ولا شيخًا

(١) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص٨٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٢١٢/٣؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٢؛ وانظر: علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٢١٨.

كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له...)).[(١)]

وعاد الجيش بعد شهرين بعد تحقيق أهدافه، وإظهار هيبة المسلمين وقوة دولته وقدرة قائدهم خليفة رسول الله ﷺ الأول الصديق رضي الله عنه.[(٢)]

وفي الوقت نفسه شاور رضي الله عنه بقية الصحابة في المرتدين، فكان رأي بعضهم ألا يقاتل مانعي الزكاة. وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأبي بكر: ((علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله

---

(١) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص٣٠٢.

(٢) انظر: عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص١٠٢.

ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها". فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقًا، وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)).[1]

كما ذكرنا فقد قاد الصديق بنفسه أول جيش خرج لقتال المرتدين إلى ذي القصة، رغم خوف الصحابة عليه ومحاولة ثنيه عن الخروج بنفسه، ولكنه أصر على أن يواسي الناس بنفسه، ونصره الله على القبائل المرتدة التي كانت تستهدف المدينة، وغلبهم فاضطروا للإذعان والانقياد لأمر الإسلام وأبي بكر الصديق.[2]

* * * * *

(١) ابن كثير البداية والنهاية، ج٦/٣١١.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/٢٢٥.

فصاحته وبلاغته ﷺ:

حين وفاة النبي ﷺ خطب الصديق ﷺ في الناس وكأنه أُعِدَّ لهذا الموقف وتلك المقولة، بفقهه العظيم، حيث قال قولته المشهورة: فقال أبو بكر: ((أما بعد من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران])).[1]

إن هذه العبارة الموجزة من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبدالله فإن الله حي لا يموت، جمعت علم أبي بكر وفقهه، وأبانت عن فهمه وفضله، ورسمت الطريق للأمة من بعد رسول الله، وهي عبادة الله الواحد الدائم، وبشرية النبي ﷺ التي كان الصديق ﷺ واعيًا لها.

---

(١) راجع تفاصيل ذلك في موضوع وفاة الرسول ﷺ، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الرابع، العالمية والدولة الانسانية.

وقدخطب يوم وفاة النبي ﷺ في اجتماع السقيفة بين الأنصار خطبة بليغة، انتفع بها الحاضرون كلهم، حتى قال عمر: ((كنت زورت في نفسي مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكل، فقال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر وكان أحلم مني وأوقر، واالله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها))[1].

ولما تمت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خطب خطبة الخلافة في الناس، وهي بمثابة إعلان رسمي عن توجهاته وسياسته القادمة في الأمة، ومنهجه في تسيير أمورها وكان مما قال رضي الله عنه: أحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: ((أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٢٢ ـ ٤٢٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٩؛
انظر: حامد محد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ...، ج٢/١٨٤.

عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)).[(١)]

وفي الردة قام أبو بكر ﷺ في الناس فحمد االله وأثنى عليه، ثم قال: الحمد الله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى؛ إن الله بعث محمدًا ﷺ لعلم رشيد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرًا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشر عندهم، قد غيروا كل تام وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦١؛ الطبري، تاريخه، ج٢/٢٣٨.

يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشًا، وأضلهم دينًا، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب فختمهما الله بمحمد ﷺ، وجعله الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض االله نبيه ﷺ، فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران](١).

إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم يكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٠٤.

﴿... وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران].(١)

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفي لنا عهده، ويقتل من يقتل منا شهيدًا إلى الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].(٢)

لما جمع رضي الله عنه الجموع لفتح الشام قام في الناس خطيبًا فأثنى على االله بما هو أهله، ثم حث الناس على الجهاد، فقال: ((ألا لكل أمر جوامع فمن بلغها فهو حسبه، ومن عمل الله كفاه االله، عليكم بالجد

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٨٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٤٣ ـ ١٣٤٤؛
وانظر: البداية والنهاية، ج٦/٣١٢.

والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لمن لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب االله من الثواب على الجهاد في سبيل الله كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي النجاة التي دل الله عليها إذ نجا من الخزي وألحق الكرامة))[1].

* * * * *

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٧.

إيمانه وتقواه ﷺ:

وصف ﷺ بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل]، اتفق جمعٌ من المفسرين على أن هذه الآيات على عموم لفظها إنما نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، تمتدح بذله وإنفاقه في سبيل الله؛ وبخاصة شراءه ضعفاء المسلمين وإعتاقهم تخليصًا لهم من تسلط زبانية قريش عليهم بالعذاب أثناء فترة الدعوة المكية.

وقد عرف عنه ﷺ الورع، فكان الصديق ﷺ من أرق الناس قلبًا وأكثرهم خشية وخشوعًا، فلا يملك نفسه من البكاء في الصلاة عند قراءة القرآن، حتى أثر ذلك على النساء والأطفال من كفار قريش.

نرى التطبيق العملي لمعنى الاتباع والتصديق للرسول ﷺ في حياة الصديق عندما ننظر في حياة الصديق ﷺ نجد اقتداءً تامًا برسول الله ﷺ، نشعر به في أقواله وفي أفعاله وفي حركاته وسكناته، وبذلك بلغ أعلى المنازل ﷺ.

وتصديقه لحادثة الإسراء التي مرت بنا في تسميته بالصديق من أكبر الدلائل على ذلك.

((لما نزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم] فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قول الله ـ تعالى ـ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وكانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث. فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم] قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين. أفلا نراهنك على ذلك؟ قال بلى، وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع

ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين قال: لأن الله ـ تعالى ـ قال في بضع سنين، قال وأسلم عند ذلك ناس كثير))[1].

يقول عمر بن الخطاب ﷺ عن صلح الحديبية: ((فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ فرد الصديق ﷺ وقال: أيها الرجل! إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله! إنه لعلى الحق.

---

(١) انظر: رواية الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الروم، ج٥/٣٤٤، ح رقم: ٣١٩٤.

غضب الصديق ﷺ؛ لأنه شعر بشك الرجل في وعد رسول الله ﷺ، فقال: أيها الرجل! إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فقال عمر ﷺ: قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال الصديق: فإنك آتيه ومطوف به.

فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به))[1].

كان إنفاذ جيش أسامة بن زيد ﷺ أعمال الصديق ﷺ في خلافته اتباعًا لأمرالرسول ﷺ دون تردد ولا شك، مهما كانت الظروف والأحداث.

روت أم المؤمنين عائشة ﷺ: ((أن لأبي بكر غلامًا يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه،

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج٥/٦٢؛ وابن أبي شيبة في المغازي، ص٢٧٨؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، ج٣/٦٩٩.

فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك؛ فهذا الذي أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه)).(١)

عن عائشة ﵂ أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين، قال أبو بكر: ((لا أرى يمينًا أرى غيرها خيرًا منها إلا قبلت رخصة الله وفعلت الذي هو خير)).(٢)

وقد أكل تمرة فقيل له: إنه من تمر الصدقة فقام واستقاء، وقال: ((يا فلان أما علمت أن الصدقة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سوي؟!)).(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار ...، باب أيام الجاهلية، ج٤/٢٣٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ((لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم))، ج٥/١٨٨ ـ ١٨٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ص١٦٩.

فكان ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة كما مرَّ سابقًا. ولا شك أن هذه البشارة حق وجاءت من معرفة رسول الله ﷺ بإيمانه، ودعوته وقد أسلم عَلَى يديه معظم العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبدالأسد، والأرقم ابن أبي الأرقم ﷺ.(١)

كما ورد أنه أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ فيما روى أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ ﷺ: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي))، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي)).(٢)

---

(١) علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٩.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ص٨٤١، ح برقم: ٤٦٥٥، وضعفه الألباني.

عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: ((هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين))[(١)].

وحين سأل ﷺ الصحابة عن بعض الأعمال الصالحة فوجدها صدرت من أبي بكر في يوم واحد قال رسول الله ﷺ: ((ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة))[(٢)].

* * * * *

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر ﷺ كليهما، ج٥/٦١١، ح برقم: ٣٦٦٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٧/١١٠.

عبادته ﷺ:

كان الصديق ﷺ سباقًا للخير في أعمال البر كلها.[١]

فقد كان ﷺ صاحب قرآن، يصلي في مسجده في داره بمكة قبل الهجرة، مما أزعج قريشًا وجعل ابن الدغنة يطلب رد جواره للصديق فرده.[٢]

كما كان إمامًا للمسلمين في صلاتهم بأمر رسول الله ﷺ في مرض موته ﷺ.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة ﷺ قالت: ((لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت: يا رسول الله ﷺ إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر... فراجعته مرتين أو ثلاثًا فقال: ليصل بالناس أبو بكر

---

(١) انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص١٨.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٢؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٣٥؛ انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٦٣.

فإنكن صواحب يوسف)).[1]

عن سهل بن سعد الساعدي قال: كان قتال بين بني عمرو، فبلغ ذلك النبي ﷺ فصلى الظهر ثم أتاهم يصلح بينهم، فلما حضرت صلاة العصر فأذن بلال وأقام وأمر أبا بكر فتقدم وجاء النبي ﷺ وأبو بكر في الصلاة فشق الناس حتى قام خلف أبي بكر، فتقدم في الصف الذي يليه قال: وصفح القوم وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت حتى يفرغ، فلما رأى التصفيح لا يمسك عليه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه فأومأ إليه النبي ﷺ بيده أن امضه، وأومأ بيده هكذا، ولبث أبو بكر هنيةً يحمد الله على قول النبي ﷺ، ثم مشى القهقرى فلما رأى النبي ﷺ ذلك تقدم فصلى النبي ﷺ بالناس، فلما قضى صلاته قال: ((يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت؟)) قال: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ج٢/٢٢؛ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٢؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٣٥.

النبي ﷺ. وقال للقوم: ((إذا رابكم أمر فليسبح الرجال وليصفح النساء))[(١)].

روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة))[(٢)].

ولعل ذلك ينطبق عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الإمام يأتي قومًا فيصلح بينهم، ج٨/١١٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٧/١١٠.

علمه ﷺ:

كان الصديق ﷺ أحد المفتين للناس، بل إنه كان يفتي بحضرة النبي ﷺ. وكان يحكم ﷺ ويمضي حكمه.

روى أبو قتادة الحارث بن ربعي قال: ((خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله ﷻ، ثم رجعوا، وجلس النبي ﷺ، فقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، قال: ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت، فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، قال: ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت، فقال: ما لك يا أبا قتادة؟ فأخبرته، فقال رجل: صدق، وسلبه عندي، فأرضه

مني، فقال أبو بكر: لاها الله إذا، لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ فيعطيك سلبه، فقال النبي ﷺ: صدق، فأعطه. فأعطانيه، فابتعت به مخرفًا في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام)).[1]

فكان هذا دفاع من أبي بكر ﷺ عن ذاك الشجاع من الصحابة الذي حاول غيره أخذ حقه من الغنيمة أقره النبي ﷺ.

وفي صلح الحديبية كان رسول الله ﷺ مرنًا مع قريش في مفاوضته وفي صلحه، لدرجة أن عمر بن الخطاب ﷺ اغتم غمًّا شديدًا لهذا الأمر واستغرب وقال: يا رسول الله ألست نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال عمر: فلم نُعطي الدنية في ديننا؟ قال ﷺ: إني رسول الله ﷺ ولست أعصيه، قال عمر: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قول الله ـ تعالى ـ: ((ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا ...))، ج٥/ ١٠٠.

بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال ﷺ: فإنك آتيه ومطوف به، ثم توجه عمر إلى أبي بكر الصديق ووجه له مثل الكلام الأول قائلاً: لم نعطي الدنية في ديننا؟ فرد عليه أبو بكر رضي الله عنه رد الفقيه العالم العاقل: يا عمر إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق.(١)

كما كان يعبر الرؤيا بحضرة النبي ﷺ.

((أتى رسول الله ﷺ رجلٌ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي ﷺ:

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣١٧؛ وانظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط، ج٣/١٨١ ـ ١٨٢؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص٢٧٩.

اعبرها. قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن؛ حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله ـ بأبي أنت ـ أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا. قال: فوالله يا رسول الله، لتحدثني بالذي أخطأت، قال: لا تقسم))[1].

كما أن أم المؤمنين عائشة ﵂ ((رأت في المنام أنه سقط في حجرها ثلاثة أقمار، فلما دفن رسول الله ﷺ في بيتها قال لها أبو بكر ﵁ هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها))[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من لم يرَ الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، ج٨/٨٣ ـ ٨٤.

(٢) انظر: ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٤٠١

وقد كان ﷺ لعلمه يناقش يهود ويرد عليهم، ومن ذلك ما جرى بينه وبين فنحاص.(١)

إذ أن أبا بكر دخل بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناسًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم، يقال له أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك! اتق الله وأسلم، فوالله إنك تعلم أن محمدًا لرسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنيًا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنيًا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر، فضرب وجه

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩؛ انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص١٨؛ حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ، ج١/٤١٢.

فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله، فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيمًا، إنه يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله ـ تعالى ـ فيما قال فنحاص ردًّا عليه وتصديقاً لأبي بكر: ((لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)) [آل عمران: ١٨١]. ونزل في أبي بكر الصديق، وما بلغه في ذلك من الغضب قوله ـ تعالى ـ: ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [آل عمران: ١٨٦].(١)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٢٥ ـ ٤٢٧.

كان ﷺ من كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وقد ثبت في حادثة الهجرة كتابته لسراقة بن مالك.(١)

ومن أجلِّ أعمال أبي بكر ﷺ العلمية الدقيقة جمع القرآن الكريم، وهذا يدل على علمه ﷺ، حيث استُشهد عدد كبير من حفظة القرآن في موقعة اليمامة، وخشي الصحابة على ضياع القرآن، فذهب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي بكر الصديق ﷺ يعرض عليه فكرة جمع القرآن، فكان الصديق ﷺ متحرجًا أشد الحرج من هذا العمل، وقال: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ ورسول الله ﷺ لم ينه عن جمع القرآن، كان من دعاة الصديق ﷺ أن ينظر قبل الفعل إلى فعل رسول الله ﷺ في أي أمر من الأمور، فما وجده من أفعال رسول الله ﷺ قلده واتبعه، فلما نظر ولم يجد رسول الله ﷺ جمع القرآن تهيب ثم اجتمع عليه الصحابة ﷺ، فأقنعوه ﷺ، فاستصوب جمعه؛ لما فيه من خير وصواب.

---

(١) انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص٤٣.

وهذا التوقف ثم الإقدام بعد تريث دليل على مبلغه ﷺ من العلم. وسيأتي الحديث عن جمعه ﷺ للقرآن في المصحف.

وقد عهد بذلك إلى زيد بن ثابت ﷺ، فقام بالأمر حتى كتب المصحف في صحف، جُمعت كلها، ووضعت عند أبي بكر، حتى انتقلت من بعده إلى عمر، ثم إلى عثمان ﷺ أجمعين.

ولعل قلة رواية أبي بكر عن رسول الله ﷺ سببها قصر حياته بعد وفاة النبي ﷺ، وحداثة عهد الصحابة والأمة برسول الله ﷺ.[1]

* * * * *

(١) انظر: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكرالصديق ﷺ أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص٤٣.

صحبته ومعايشته ﷺ لرسول الله ﷺ:

كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وهو قريب منه في السن؛ حيث إنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين. ويكاد لا يمضي يوم من حياة الرسول ﷺ إلا وشارك الصديق ﷺ رسول الله ﷺ في حدث ما.

كيف لا وقد اشترك مع رسول الله ﷺ على بشريته في خصال كثيرة، منها الصدق والأمانة، والكرم، والمعرفة، والمكانة العالية في قريش،[(١)] فكان بينهما التقاء خاص في العادات والنفسية، وكان بينهما رفقة خاصة ومحبة متبادلة في وقت مبكر قبل البعثة، اشتركا في كُره الخمر والزنا والظلم، وكُره الشرك.

كان من أكثر قريش معرفة بالأنساب.[(٢)] كما كان صاحب تجارة، قاربت تجارته أربعين ألف درهم حين إسلامه.[(٣)]

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٠.

(٢) ابن حجر الإصابة، ج٢/٣٤٢.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٢٤.

أسلم بسبب حسن علاقته بالنبي ﷺ على يد رسول الله ﷺ في الأيام الأولى للبعثة، وقد وضع البخاري في صحيحه باب (إسلام أبي بكر الصديق)،[١] روى فيه عن عمار بن ياسر قال: ((رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أعبدٍ وامرأتان وأبو بكر))[٢].

إنه صاحب رسول الله ﷺ بنص القرآن هاجر معه بعد ذلك ونزل فيه قوله ـ تعالي ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/٢٤٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/٢٤٠؛ وانظر: شرح ابن حجر، في فتح الباري، ج١٥/١٢.

[التوبة][(١)].

وكأني بهذه الآية لا تخص الهجرة وحدها، إنه ثاني اثنين في الإيمان برسول الله ﷺ وتصديقه واتباعه. ولم يكن إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه[(٢)] إسلامًا عاديًا يتوقف عند صاحبه، بل كان رجلاً مباركًا تحرك منذ إسلامه داعية للإسلام ولرسول الله ﷺ، كان ينتقي الرجال الصادقين العقلاء ليدعوهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ.

وقد أسلم أهل بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، زوجته وبناته وأبناؤه وخادمه.[(٣)] فقد كانوا خير جند وعون

---

(١) انظر فضل الصديق، عند البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر رضي الله عنه، ج٤/١٩١ ـ ١٩٨؛ وعند مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج٧/١٠٨ ـ ١١١؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ج١/٨٨٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار ...، باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه، ج٤/٢٤٠.

(٣) الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٩.

لرسول الله ﷺ.

وقد نفع الله رسول الله ﷺ والمسلمين بماله منذ أول الإسلام، حيث قام بشراء المعذبين المسلمين من الجواري والموالي من حر ماله وأعتقهم لوجه الله ـ كما مرَّ ذكره ـ، وعلى رأس هؤلاء بلال بن رباح. وهذا ولا شك مما سرَّ رسول الله ﷺ.(١)

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل].

ولذلك وغيره قال فيه رسول الله ﷺ: ((ما نفعني مالٌ ما نفعني مالُ أبي بكر)).(٢)

كما تحمل الأذى مع رسول الله ﷺ ودافع عنه بنفسه في المواضع التي تطلبت ذلك، وفي روايات الأذى نجد الصديق معه في معظم المواقف.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٥٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٥٣؛ والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب (١٥)، ج٥/٦٠٩، ح برقم: ٣٦٦١.

كانت بداية الأذى من أبي لهب وامرأته، وأخذ قومه وخصوصًا الزعماء العتاة المعاندون في المشاركة في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه، كان على رأس هؤلاء عمرو بن هشام (أبو جهل) كما أسماه الرسول ﷺ بعدما أصرّ على الكفر والعناد، وكان يكنى عند الجاهليين أبا الحكم.(١)

وأما زعيمة المؤذين رسولَ الله ﷺ من النساء فكانت امرأة أبي لهب، وتسمى جميلة بنت حرب.(٢)

ونزلت فيها وفي زوجها سورة "المَسَد" فأتت الرسول ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها حجارة فوقفت عليهما، وهي لا ترى رسول الله ﷺ، فوجهت حديثها لأبي بكر الصديق، وقد أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ. فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته

(١) انظر: ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص٣٤٠، ٣٦٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ج٢/٢٠٤٥.

لضربته بهذا الفهر، ثم انصرفت وهي تردد (مُذَمَّمًا أَبَيْنَا وأَمْرَهُ عَصَيْنَا وديْنَه قَلَيْنَا)، فقال أبو بكر يا رسول الله ﷺ أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني، فكان رسول الله ﷺ يقول: ((ألا تعجبون لما يُصرَف عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمَّمًا وأنا محمَّد)).[1]

عن عمرو بن العاص ﷺ قال: ((ما رأيت قريشًا أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يومًا ائتمروا به، وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءه في عنقه، ثم جذبه حتى وكب لركبته ساقطًا، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه، وهو يقول: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)، ثم انصرفوا عن النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٥٦؛
وانظر: أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص٢٩٣.

فصلى، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال: ((يا معشر قريش! أما والذي نفس محمد بيده! ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه، قال: فقال له أبو جهل: يا محمد! ما كنت جهولاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم)).(١)

وفي رواية للبخاري أن عروة بن الزبير سأل عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول ﷺ قال: ((رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)).(٢) كما سبق ذكره.

واستمر الصديق ملازمًا رسولَ الله ﷺ بمكة، وكان

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٠٩؛ والذهبي، السيرة النبوية، ص١٦٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٧ ـ ١٩٨؛ وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٠.

الرسول ﷺ يخرج إلى أسواق العرب المجاورة لمكة يعرض الإسلام على الناس وبصحبته الصديق مشاركًا له في الدعوة.(١)

وحينما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج كان رفيقه الملازم والمشارك له هو الصديق ﷺ. وكانت معرفته بالقبائل عونًا لهما في الحديث لرجال القبائل، ولفْتِ انتباههم وعرض الدعوة عليهم.(٢)

وكان أبو بكر يسأل أحيانًا ((كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة؟)).(٣)

وفي رواية علي بن أبي طالب ﷺ قال: ((لما أمر الله ﷻ نبيّه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه.. إلى

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤.

(٢) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة ـ)، القسم الثاني، الاضطهاد والهجرة والتنمية.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٣/٤٩٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٦٦؛ انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٤٤١.

أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم، فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق وقد غلبهم لسانًا وجمالاً، وكان له غديرتان تسقطان على تَرِيبته، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألفٌ من قلّة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدُ ما نكون غضبًا حين نَلقى، وأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخا قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال: مفروق إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: "أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبدالله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد"

فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فقال رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أَفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ فقال: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى تَرْكَنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا لا أول له ولا آخر لذلك في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، إن الذلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى ـ وأسلم بعد ذلك ـ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا بما نزلنا بين صِرين أحدهما

اليمامة والآخر السمامة فقال له رسول الله ﷺ: "ما هذان الصريان"قال: إنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: "ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله ﷻ لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله ـ تعالى ـ أرضهم وديارهم ويعرِّشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان: اللهم فلك ذلك يا أخا قريش، فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب] ثم نهض"))[1].

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/١٦٧، ١٦٨؛ والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢/٥٩٦ ــ ٥٩٨؛ والصلابي، السيرة، ج١/٤٤٣، ٤٤٤.

وفي بيعة العقبة لم يعلم بها إلا قلة، كل منهم كان له دوره، فعمه العباس ﷺ جاء معه ليصحبه وليستوثق له، وكان علي بن أبي طالب ﷺ عينًا للنبي ﷺ على فم الشعب، وأبو بكر الصديق ﷺ عينًا على الطريق.(١)

ولعل أشهر حدث شارك فيه الصديق ﷺ وحده مع رسول الله ﷺ الهجرة النبوية، ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ الإنساني، حتى اتخذه المسلمون للتأريخ للأحداث.(٢)

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].(٣)

---

(١) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٤٦٤.

(٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨.

(٣) قمت بالاستشهاد بالآية في مواضع متعددة، وكل موضع له سببه.

وقبل السفر وفي الطريق كان الصديق ﷺ وأهل بيته نعم العون لرسول الله ﷺ[(١)] في هجرته وحين استقر رسول الله ﷺ في المدينة، كان أبو بكر ملازمًا له، بل جعل داره جوار رسول الله ﷺ، وله خوخة إلى المسجد، أمر ﷺ أن تبقى عند وفاته، وأن تسد بقية الأبواب الشارعة في المسجد[(٢)].

وقد تشرّف الصديق ﷺ بعد الهجرة بزواج الرسول ﷺ من ابنته أم المؤمنين عائشة ﷺ[(٣)]، فزاد دخوله على النبي ﷺ في حجرة عائشة وكانت لهما مواقف مشتركة معها، وهي أحب نسائه إليه ﷺ بعد خديجة ﷺ وهو أحب الرجال إلى الرسول ﷺ. وقد ورد في الحديث الشريف،

---

(١) انظر تفصيلات ذلك في موضوع الهجرة، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثاني، الاضطهاد والهجرة والتنمية.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر))، ج٤/١٩٠.

(٣) انظر: زواج النبي ﷺ من عائشة ﷺ، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثاني.

عن عمرو بن العاص ﷺ قال: ((أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك قال: عائشة، فقلت: من الرجال، فقال: أبوها، فقلت ثم من قال: ثم عمر بن الخطاب فعدَّ رجالاً)).[1]

* * * * *

(١) روه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب أبي بكر الصديق، ج٤/١٩٢.

هجرته ﷺ مع النبي ﷺ ودور آل أبي بكر ﷺ:

لم يكن رسول الله ﷺ أول من هاجر من الأنبياء، فقد سبقه إبراهيم عليه السلام في الهجرة، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت].(١)

كما أن اعتداءات المشركين واستفزازهم ومحاولتهم حبسه أو قتله ﷺ كانت وراء هجرته من مكة، وهي أحب بلاد الله إلى الله وإلى رسوله. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال].(٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦﴾ [الإسراء].(٣)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٣٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٢٩.

ولا شك أن قوم الرسول ﷺ من كفار قريش تضامنوا على إخراجه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [محمد].(١)

وتؤكد آية الهجرة والصحبة إخراج الذين كفروا للرسول ﷺ ونصر الله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة].(٢)

كما تؤكد الأحاديث أنه ﷺ أُخرج من مكة، وكان يدعو على من أخرجه. ومن ذلك ما رواه البخاري أنه ﷺ كان يقول: ((اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيبةَ بنَ رَبِيعَةَ وعُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧١٨.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

وأُمَيَّـةَ بـنَ خَلَـفٍ كمـا أخْرَجُونَـا مِـن أرْضِـنَا إلى أرْضِ الوَبَاءِ).[١]

ورسـول اللّه ﷺ يحـب مكـة أشـد الحـب، بهـا ولـد وترعـرع وتـزوج ورزق، إضـافة إلى مـا يعلمـه الرسـول ﷺ ويعلمه الناس من حرمة مكة، ومكانتها عند اللّه، فهي أفضل أرض اللّه وبها كان أول مسجد وضع في الأرض، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران].[٢]

ولعل ما يشهد لذلك قول الرسول ﷺ حينما التفت إلى مكة عند هجرته ((واللّه إنكِ لأحب أرض اللّه إليَّ وإنكِ لأحب أرض اللّه إلى اللّه، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك)).[٣]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب (١٣)، ج٢/٢٢٥. والوباء الذي كان منتشرًا في مكة هي الحمى.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٨١.

(٣) الزرقاني، المواهب، ج١/٣٢٨؛ انظر: ابن ماجه، سننه، كتاب المناسك، باب فضل مكة، ج٢/١٠٣٧، ح برقم: ٣١٠٨.

هاجر عدد من أصحاب رسول الله ﷺ في الفترة من بيعة العقبة الثانية، التي وقعت في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣هـ من البعثة النبوية، الأولى قبل الهجرة، وزادت أعدادهم بالتدرّج، وكان أبو بكر الصديق ﷺ مستعدًّا للهجرة تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة، إلا أن الرسول ﷺ كان طلب من أبي بكر ﷺ التريث لأمر يعلمه الله ورسوله، ولا يعلمه الصديق نفسه.

وكان الرسول ﷺ ينتظر الأمر من الله ـ تعالى ـ والإذن له بالهجرة بتدبيره ﷻ وهو الذي يمكر لرسول الله ويهيئ له ﷺ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال](١).

وكان الصديق ﷺ مستعد لحاجة رسول الله في الهجرة وخصوصًا الرواحل وما يلزمها، قبل أن يعلم أنه رفيقه في الهجرة.

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٣٣ ـ ٨٣٤.

وقد أحست قريش بعد بيعة العقبة الثانية بما يعزم عليه الرسول ﷺ من الهجرة إلى المدينة، وخشيت من ذلك خصوصًا بعد أن سبقه ﷺ عدد من المهاجرين، ولذلك اجتمعوا للمكر بالرسول ﷺ،[(١)] كما أشارت الآية الكريمة.

وقد أورد ابن إسحاق رواية مطولة عَمَّا جرى في هذا الاجتماع ونتائجه وما حدث بعده: ((ولما رأت قريش أن الرسول ﷺ صار له أتباع وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم، عَرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم مَنَعة، فحَذِرُوا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم، وعَرفوا أنه قد أجمع لحَرْبهم. فاجتمعوا له في دار النَّدوة ـ وهي دار قصيّ بن كلاب التي كانت قريش لا تَقْضي أمرًا إلا فيها ـ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.[(٢)]

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤٨٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨١.

وقد اجتهدوا في وضع الخطط ليحولوا دون هجرة الرسول ﷺ حتى لو أدى ذلك لقتله ﷺ.

ولما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، قال وهم على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فاخذ حَفْنة من تراب في يده، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم وأخذ الله ـ تعالى ـ على أبصارهم عنه، فلا يَرَوْنه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو تلك الآيات: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس].(١)

حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من هذه الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا قد وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تَنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا، قال: خيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم. قال: فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلّعون فَيرَوْن عَلِيًّا على الفراش مُتَسَجِّيًا بِبُرْدة رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا، عليه بُرده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

وكان مما أنزل الله ﷻ من القرآن في ذلك اليوم، وما

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٦٢.

كانوا أجمعوا له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].(١)

وقول الله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور])).(٢)

ولعل عائشة ﵂ ابنة الصديق ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأم المؤمنين زوجة المصطفى وشاهدة عيان لبداية أحداث الهجرة، خير من ينقل الحديث عن حادثة الهجرة وبرواية البخاري، وما نقلته ﵂ يعد من أوسع الأحاديث في تفصيلات الهجرة مع ما لحقه من روايات أخرى.

قال النبي ﷺ للمسلمين: ((إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٣٣ ـ ٨٣٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤٨٠ ـ ٤٨٤؛ وانظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٢٧؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٣٤.

قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قِبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك؟ بأبي أنت قال: نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر، وهو الخبط أربعة أشهر، قال: عروة قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال: فإني قد أُذن لي في الخروج فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: نعم قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب،

فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت (ذات النطاقين)، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خريتًا، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صُبْحَ ثلاثٍ وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ

بهم طريق السواحل)).[(١)]

ومن رواية عائشة ﵂ وغيرها يتبين لنا دور الصديق ﵁ وأهل بيته في المشاركة في الهجرة. إنها مشاركة مباشرة من أبي بكر الصديق بنفسه وماله وأهله.

فمن هذه الرواية للبخاري وما يدعمها من روايات نجد صدق الصديق ﵁ حينما قال لرسول الله ﷺ: ((إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله)).[(٢)]

إن فرح أبي بكر الصديق بصحبة الرسول ﷺ كان عظيمًا وأي صحبة كتلك الصحبة الواردة في القرآن الكريم ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾،[(٣)] حيث نال الصديق من الشرف ما لم ينله أحد من البشر بتلك الصحبة المباركة

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) من رواية البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٥٥؛ وانظر، ابن النجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص١٠٥.

(٣) سورة التوبة، من الآية ٤٠؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

المنصوص عليها في القرآن الكريم: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾[1].

تلك الفرحة يعبر عنها الصديق ﷺ حينما قال الرسول ﷺ: ((قد أُذِن لي بالخروج)) فيقول الصديق ﷺ: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله. كان مستشرفًا متشوقًا لصحبة خير البشر، في رحلة مباركة جاهز لترك الأهل والوالدين والمال ومرافقة رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((نعم)).

كانت مرافقة وموافقة نبوية مباركة. ولا شك أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولذلك فإن هذه الصحبة كانت بعلم الله ورضاه لنبيه بخير رفيق وصاحب.

كان الصديق ﷺ متشوقًا، وربما متوقعا لهذه الصحبة، وإن كان لم يعلم بها إلا ساعة وافق له النبي ﷺ على ذلك. وعندها بكى أبو بكر الصديق من شدة

(١) سورة التوبة، من الآية ٤٠؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

الفرح[١] ومع هذا فقد كان الصديق محتاطًا للأمر، فاشترى راحلتين من خاصة ماله لمثل هذا الموقف، فقال: يا نبي الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتها لهذا. وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرةإلى الحبشة، فقال له ﷺ: ((لا تعجل لعل الله يجد لك صاحبًا))، قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفها إعدادًا لذلك اليوم.[٢]

وقد خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر للهجرة من خوخه [باب صغير] في ظهر بيت أبي بكر مستخفيًا عن الناس الذين ربما كان بعضهم يرقب الباب الرئيس لبيت أبي بكر مظنة وجود الرسول ﷺ فيه بعد بيت الرسول ﷺ. وهذه هي الحقيقة، فهو أقرب البيوت منزلة لرسول الله ﷺ بعد بيته، حيث انطلقا منه إلى جبل ثور واختفيا في غار فيه، كما مرَّ بنا.

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٤.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٥.

وحين خروج الرسول ﷺ للهجرة قدم الصديق الراحلة هدية للمصطفى ﷺ، الذي يقدر جهد أبي بكر ويحترم بذلك عطاءه، لكنه رفض أن يأخذ الراحلة إلا بثمنها.(١)

إنه الرسول الكريم ﷺ عزيز النفس الذي لم يكن في يوم من الأيام عالة على أحد، كما أن أبا بكر ﷺ باذلٌ لماله ونفسه لرسول الله ﷺ، وقد استأجر الصديق ﷺ عبدالله بن أريقط ليكون دليلاً لهما على طريق مجهولة لقريش لا يتوقعها الناس، إذ إنهما كانا ينويان مخالفة الطريق المشهورة، حتى لا يتم العثور عليهما، وهذا بترتيب الصديق مع الرجل الذي كان محل ثقة ومأمونًا، وإن كان غير مسلم في حينها.(٢)

ولعل نقل عائشة ﷺ أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق لهذه الروايات الدقيقة عن حادثة الهجرة وتفصيلاتها التي رواها البخاري ﷺ في صحيحه من أثر آل أبي بكر على

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٧؛ انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، ص١٧١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٥.

الدعوة، حيث كانت عائشة ﵂ أفضل من نقل الحديث بتفصيلاته الدقيقة.

كما كان أبو بكر أيضًا ﵁ خير رفيق لرسول الله ﷺ في تلك الرحلة، وظَهَرت منه مواقف مختلفة كان يفدي بها رسول الله ﷺ بنفسه، منها:

أن الرسول ﷺ لما أقبل على غار جبل ثور ليدخله طلب منه الصديق ﵁ الانتظار حتى يتأكد من الغار وسلامته للرسول ﷺ.

وأثناء جلوسهما في الغار إذا بجحر فألقمه أبو بكر الصديق ﵁ رجله، وقال يا رسول الله إن كانت لدغة أو لسعة كانت بي.[1]

كان ﵁ خائفًا مشفقًا على رسول الله ﷺ أثناء وجودهما في الغار، ففي حديث أنس بن مالك ﵁ عن أبي بكر الصديق ﵁ قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو

(١) رواه ابن أبي شيبة، في المغازي، ص١٥١.

أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، فقال ﷺ: ((اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما)).[١]

إن هذا الترقب والخشية وثقة رسول الله ﷺ بالله وتوثيقه أبا بكر وطمأنته ذكر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].[٢]

نعم أنزل الله سكينته على رسوله ﷺ.

وقد خدم أبو بكر رسول الله ﷺ أثناء الطريق، فقد ورد في رواية لابن أبي شيبة عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال:

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار...، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

((اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهمًا، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلي، فقال له عازب: لا حتى تحدثني كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حيث خرجتما، والمشركون يطلبونكما، قال: رحلنا من مكة فأحيينا ليلتنا ويومًا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهينا إليها، فنظرت بقية ظل فسويته ثم فرشت لرسول الله ﷺ فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله! فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أريد، فسألته فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، قال: فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، قال: فأمرته فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى يديه بالأخرى، فحلب كثبة من لبن، ومعي لرسول الله ﷺ أداوة على

فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت، ثم قلت: أتى الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك، قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم اكفناه بما شئت، قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فو الله لأُعميّن على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ سهمًا منها فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في إبلك، وانصرف عن رسول الله ﷺ ودعا له رسول الله ﷺ، وانطلق راجعًا إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا

المدينة ليلاً، فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه)).[(١)]

وقد كان أبو بكر ﷺ رديف النبي ﷺ، وهذه مفخرة للصديق ﷺ، وكان معروفًا للناس لكثرة تردده على الشام، فكان يعميهم عن معرفة الرسول ﷺ وهو مطارد. روى ابن أبي شيبة: عن أنس ﷺ ((أن أبا بكر كان رديف النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان أبو بكر يختلف إلى الشام، فكان يُعرف، وكان النبي ﷺ لا يُعرف، فكانوا يقولون: يا أبا بكر! من هذا الغلام بين يديك؟ قال: هادٍ يهديني السبيل، قال: فلما دَنَوا من المدينة نزلوا الحرة، وبعثا إلى الأنصار فجاءوا، قال: فشهدته يوم دخل المدينة، فما رأيت يومًا كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه، وشهدته يوم مات، فما رأيت كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه ﷺ)).[(٢)]

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٤٥؛ وانظر: جزء من الرواية عند البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٥٧.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٥٤؛ محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢. (ولعل في لفظه أقبح نظر).

وعند خروج أبي بكر الصديق ﷺ للهجرة حمل ماله كله، خمسة آلاف درهم أو تزيد فدخل والده أبو قحافة وكان عَمِيَ وذهب بصره، فقال لأسماء ابنة أبي بكر: إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت له: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، ووضعت حجارة في كوة من البيت ووضعت عليها ثوبًا ووضعت يده عليها، فقال: لا بأس. وكانت الفضة في ذلك الزمن كتلاً كالحجارة توزن ولا تعد.(١) وسكت الشيخ وكان لم يُسْلِمْ بعد، حيث كان إسلامه ﷺ عام الفتح.(٢)

كانت بنات أبي بكر من المساهمات في رحلة الهجرة، فقد ورد عن أسماء ﷺ قالت: ((جهزت سفرة النبي ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، فلم نجد لسفرته ولا سقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئًا أربطه به إلا نطاقي قالت:

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٢.
(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٦١.

فقال: شقيه باثنين فاربطي بواحد السقاء وبالآخر السفرة، فلذلك سميت ذات النطاقين)).[(١)]

وقد تعرضت أسماء بنت أبي بكر ﷺ نفسُها للأذى من مشركي مكة بعد خروج الرسول ﷺ للهجرة، تقول أسماء: ((لما خرج رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر ﷺ، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي)).[(٢)]

مرة أخرى كان بيت أبي بكر ﷺ هو الأقرب في نظر قريش للبحث عن رسول الله ﷺ فيه.

وأسماء بنت أبي بكر هي زوجة الزبير بن العوام،

---

(١) ابن أبي شيبة، ص١٤٤؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٨.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٧.

هاجرت إلى المدينة بعد الرسول ﷺ وأبيها ((وهي حبلى بعبدالله بن الزبير ﷺ فوضعته في قُباء، فلم ترضعه حتى أتت به النبي ﷺ فأخذه فوضعه في حجره، فطلبوا تمرًا ليحنكوه حتى وجدوه فحنكوه، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله ﷺ وسماه عبدالله))[(١)].

كما كان عبدالله بن أبي بكر الصديق ﷺ يختلف بالطعام لرسول الله ﷺ ولوالده الصديق وهما في الغار[(٢)]، قبل أخذهما طريق المدينة، كما كان يأتيهما بالأخبار.

كما كان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ﷺ يروح عليهم بغنم الصديق ليأخذوا من حليبها، وقد صحب الرسول والصديق في رحلة الهجرة[(٣)].

ولعلنا هنا نذكر شيئًا من بركة آل أبي بكر

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٥٢؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٩.
(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٥٠؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٦.
(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٥٠.

الصديق ﷺ فمن أقدم من كتب في سيرة النبي ﷺ عروة ابن الزبير بن العوام ﷺ، أمه أسماء بنت أبي بكر وخالته أم المؤمنين عائشة ﷺ، تأهل بين بيت النبوة وبيت أبي بكر الصديق ﷺ، في بيت الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ممن شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، واستقى الأحداث. وكثيرٌ من روايته من خالته أم المؤمنين عائشة ﷺ ومن أمه أسماء بنت أبي بكر. وكانت وفاة تلميذ عائشة وابن أختها عروة بن الزبير ﷺ سنة ٩٢هـ.(١)

ولعلنا هنا لاننسى فضل علي بن أبي طالب ﷺ الذي ذكرناه فعند تحركه ﷺ للهجرة دعا ﷺ عَلِيَّ بن أبي طالب ﷺ وأمره أن يبيت على فراشه، وتسجى علي ﷺ

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٤٢١؛ وقد قامت سلوى مرسي الطاهر، بإصدار كتاب بعنوان: "بدايات الكتابة التاريخية عند العرب أول سيرة في الإسلام، عروة بن الزبير، ـ بيروت: أصدرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٥م، جمعت فيها الكثير من مرويات عروة بن الزبير في السيرة من المصادر المختلفة.

ببرده الأخضر، وخرج النبي ﷺ على القوم وهم عند الباب فلم يروه، وأعمى الله أبصارهم.

بقي المشركون يرقبون بيت النبي ﷺ، وكان بعضهم يرى الفراش وعلي رضي الله عنه فيه مسجى، فيظنونه النبي ﷺ وينتظرون، مما أعطى النبي ﷺ فرصة للخروج مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الغار.(١)

وهذا العمل البطولي من علي رضي الله عنه واستعداده لفداء الرسول ﷺ يأتي ضمن أعمال جليلة وعظيمة قام بها ابن عم رسول الله ﷺ وصهره المبشَّر بالجنة للنبي ودعوته، وهو الذي تربى على الإيمان في بيت رسول الله ﷺ. وقد تضافرت جهود علي رضي الله عنه مع جهود أبي بكر رضي الله عنه وأهله لخدمة الرسول ﷺ في الهجرة، وأكمل بعضها بعضًا. ولا تناقض في ذلك، فهو تكامل وتنافس في عمل الخير، ومحبة الرسول ﷺ وخدمته وحمايته.

وقد تأخر علي رضي الله عنه عن الهجرة قليلاً بأمر من الرسول ﷺ يؤدي الأمانات والودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢.

لقريش، بمن فيهم المشركون، وكان علي ﷺ أهلاً لأداء الأمانة ومحل ثقة رسول الله ﷺ،[(١)] والمؤمنين والناس جميعًا.

* * * * *

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢.

الطريق إلى المدينة:[١]

مرَّ أن رسول الله ﷺ مكث وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاثة أيام في غار حراء في جبل ثور جنوب غرب مكة عكس اتجاه الطريق إلى المدينة زيادة في السرية وبعيدًا عن الطلب.

وقد جعلت قريشٌ جائزة مقدارها مائة من الإبل لمن يأتي برسول الله ﷺ حيًّا أو ميتًا،[٢] مما دفع الكثيرين للبحث عن رسول الله ﷺ بجدية تامة في كل اتجاه وطريق قريبًا من مكة.

ومع وصول المشركين إلى الغار أكثر من مرة فإن الله حمى نبيه ﷺ.

---

(١) انظر: حديث عائشة المطول عند البخاري في صحيحه، وهو أكثر الأحاديث تفصيلاً عن الهجرة برواية عروة بن الزبير، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٥٤ ـ ٢٥٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٦؛ أكرم العُمري، صحيح السيرة، ج١/٢١١.

فلما هدأ بحثُ المشركين وطلبهم خرج رسول الله ﷺ ليلاً من الغار ومعه أبو بكر الصديق، والتقيا بعبدالله بن أُريقط دليلهما ومعه الراحلتان، فسلك بهما الطريق من أسفل مكة، ثم عارض بهما الساحل، ثم مر بهما على مجازات وطرق وأودية ما كان الناس يسلكونها إلى المدينة؛[(١)] زيادة في التعمية على المطاردين. وما كانت تلك المسالك مظانّ أن يعبرها المسافر العادي، وكان رسول الله ﷺ مستخفيًا، ولذلك استأجر مع أبي بكر هذا الخبير بالطريق الخِرِّيْت، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.[(٢)] وفي الطريق حدثت لهم عدة حوادث، ومنها ما رواه أبو بكر رضي الله عنه قال: ((أخذنا علينا بالرصد فخرجنا ليلاً فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة)).[(٣)]

---

(١) أُلفت عدة أبحاث ودراسات ووقعت عدة خرائط عن الطريق التي سلكها الرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة.

(٢) انظر: حديث البخاري الوارد في الهجرة، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثاني، الاضطهاد والهجرة والتنمية.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٦٢.

ومن القصص المشهورة في طريق رحلة الهجرة قصة أم معبد صاحبة الخيمة التي مر بها الرسول ﷺ. وقد ضعَّفَ الباحث في السيرة أكرم ضياء العُمري معظم الطرق والتفصيلات الواردة في القصة، سوى طريق واحد مختصر جاء في روايته: لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان، نزلا بأبي معبد فقال: والله ما لنا شاة وإن شياهنا لحوامل فما بقي لنا لبن ـ وقد نسب الخبر لأبي معبد في رواية صحيحة ـ فقال رسول الله ﷺ: ((أحسبه ـ فما تلك الشاة؟ فأتي بها فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها ثم حلب عُسًّا[إناءً] فسقاه، ثم شربوا فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابئ؟ قال: إنهم ليقولون، قال: أشهد أن ما جئت به حق، ثم قال: أتبعك؟ قال: لا حتى تسمع أنا قد ظهرنا))[(١)].

وللروايات تفصيلات أخرى.[(٢)] وقد جاء لها شواهد من

---

(١) انظر: د. أكرم العُمري، السيرة الصحيحة، ج١/٢١٤؛ وانظر: تخريجه للرواية التي رجح صحتها في نفس الموضع.

(٢) انظر لمزيد من التفصيلات: الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٥٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/١٨٨.

أبيات شعرية سمعت بمكة أوردها ابن اسحاق وفيها:

جَزَى اللّهُ رَبّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِه
رَفِيقَيْنِ حَلا خَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَدٍ
هُمَـــا نَـــزَلا بِالْبِرّ وَارْتَحَـــلا بِه
وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمّدِ
لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَـانَ فَتَاتِهِمْ
وَمَقْعَدُهَـــا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

وأم معبد بنت كعب من خزاعة.(١)

كما أن من أشهر القصص الواردة في طريق الرسول ﷺ إلى المدينة ومعه الصديق رضي الله عنه قصة سراقة بن مالك رضي الله عنه التي وردت بعدة طرق عند البخاري وغيره ـ مرَّ بنا بعضها ـ، ومن أكثرها تفصيلاً ما ورد برواية عبدالرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ: ((جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٧.

بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ

يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ))[1].

وقد ورد ما يفيد أن الرسول ﷺ أخبره بسقوط ملك كسرى وأنه سيلبس سواريه[2].

وتؤكد الروايات وفاء سراقة بما طلب منه الرسول

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٦؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص١٤٦.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/١٩.

ﷺ، وأنه قام بصرف بعض الباحثين عن النبي ﷺ عن المكان الذي يسير فيه.(١)

وقد قابل سراقة رسول الله ﷺ حين رجوعه ﷺ من حنين والطائف في الجعرانة فأطلعه على الكتاب، فيقول رسول الله ﷺ: اليوم يوم بر ووفاء، ادنُ فدنا من الرسول ﷺ وأسلم.(٢)

ومن الأحداث الأخرى في الطريق إلى المدينة أن ركبًا من المسلمين كانوا في طريقهم من الشام ومعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه لقوا رسول الله ﷺ فكسا الزبير رضي الله عنه رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ثيابًا بيضًا.(٣)

ومن المعروف أن الزبير رضي الله عنه متزوج من أسماء بنت أبي

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٧؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص١٤٦.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ج٢/٤٨٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/١٩.

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري، ابن حجر، ج٧/١٩٣٦؛
وانظر: ابن النجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص١٠٤.

بكر. وقد خدمت رسول الله ﷺ في إعداد ما يحتاجه للرحلة. كما أنه ابن لصفية عمة رسول الله ﷺ. وقد أسلم مبكرًا كما ورد أن طلحة بن عبيدالله لقيهما أيضًا وهو عائد من الشام فكساهما.(١)

كما ورد أن رسول الله ﷺ مرَّ بإبل لرجل أسلمي بالجحفة وفيها غلام راعٍ فقال لمن هذه؟ قال الغلام: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: ((سلمت إن شاء الله)). كان الحديث والهم متبادلاً بين رسول الله ﷺ والصديق رضي الله عنه، فقال ﷺ له: ما اسمك قال: مسعود، فالتفت ﷺ إلى أبي بكر وقال: ((سعدت إن شاء الله)).(٢) وكان ﷺ يحب التفاؤل.(٣)

وقد ورد أن الرسول ﷺ حين وصل الجحفة(٤) أدركه

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٥٢.

(٢) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٤٩٥.

(٣) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٥٦.

(٤) الجُحفة: قرية بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل مصر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١١١. (وهي بالقرب من رابغ حاليًا شمال جدة).

الحنين إلى مكة والشوق لها، فأنزل الله عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص]. (١) قال ابن عباس ﷺ: إلى مكة. (٢) وهذه بشارة مبكرة بفتح مكة

نزوله ﷺ المدينة مع الرسول ﷺ:

يالها من مفخرة ومكانة خاصة بأبي بكر ﷺ.

فقد وصل المهاجرين في المدينة خبرُ خُروج الرسول ﷺ ((فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما طال انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، أطل رجل من يهود على أطم [حصن] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٤٢٧/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إن الذي فرض عليك القرآن، ج١٨/٦؛ وابن كثير، تفسيره، ج١٤٢٧/٢.

أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف[(١)]، وذلك يوم الإثنين الثامن من شهر ربيع الأول الموافق ٢١ سبتمبر سنة ٦٢٢م،[(٢)] فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ حتى أصابته الشمس، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه رفيقه في الطريق ومعينه، حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك))[(٣)].

يا له من أدب رفيع من الصديق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ.

وقد ذكرت بعض الروايات أن الذين استقبلوا رسول الله ﷺ عند دخول المدينة كانوا خمس مئة من الأنصار،[(٤)]

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٥٨؛ ومهدي رزق الله، السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ج١/٣٣٦.

(٢) انظر: الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص١٥.

(٣) من رواية البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٨؛ واللفظ له؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٣.

(٤) د. أكرم العُمري، السيرة الصحيحة، ج١/٢١٨.

وبالتالي فإن الذين حضروا إلى قباء بعد وصول الرسول ﷺ للقائه ربما كانوا العدد نفسه أو قريبًا من ذلك، مع أعداد أخرى من المهاجرين قد لا يقلون عن المئة، كما تفيد الروايات.

وقد بايعه المهاجرون حينها، وهم يستشعرون الخطر والتهديد الذي يحيط بالرسول ﷺ من أعدائه. وبالتالي فهم مستعدون لحمايته وطاعته والتضحية لأجله. وقد بايعه الأنصار مرة أخرى بعد وصوله المدينة، كما تفيد رواية البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما[1].

وفي رواية أخرى عند البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه من أفضل ما في هذا الأمر قال: ((لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيها أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار. قال فجاءوا متقلدي سيوفهم، قال: وكأني أنظر

(١) انظر: حديث البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٦٢.

إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله))[(١)].

وقد كان نزول رسول الله ﷺ ومعه الصديق رضي الله عنه في قباء على كلثوم بن الهدم من بني عمر بن عوف، وعلى سعد بن خيثمة، وكان يستقبل الناس في منزل سعد، وهو مكان لسكنى عدد من العزاب من المهاجرين رضي الله عنهم[(٢)].

لقد كان وصول الرسول ﷺ ومعه الصديق رضي الله عنه إلى قباء في المدينة يومًا مميزًا اتخذه المسلمون بداية للتأريخ الهجري لما يرون من أهميته[(٣)].

وقد ورد ذكر هذا اليوم بذاته في القرآن الكريم

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ج٤/٢٦٦.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٣.

(٣) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨؛ وانظر: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب من أين أَرَّخُوا التاريخ، ج٤/٢٦٧.

مربوطًا بالحديث عن بناء مسجد قباء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].(١)

إنه إشارة إلى هذا اليوم بذاته. ولعل ذلك من أسباب اتخاذ المسلمين للتأريخ الهجري، حيث ذكروا أن القرآن الكريم أشار إلى هذا اليوم بذاته، ولذلك رأوا اتخاذ التأريخ الهجري، ورجحوه على غيره من الآراء، كما قال عمر رضي الله عنه: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فارضوا بها،(٢) ولذلك رأى الصحابة أنه أول الزمن الذي عز الله ـ تعالى ـ فيه الإسلام.

بقي ﷺ ومعه الصديق رضي الله عنه في قباء، أقام ـ أربع عشرة

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/ ٩٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب من أين أرَّخُوا التاريخ، ج٤/ ٢٦٧؛ انظر: البداية والنهاية، ج٢/ ٢٥٣؛ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/ ٧٥٨.

ليلة ـ[١] قام فيها ببعض الأعمال، كان أهمها بناء مسجد قباء ـ كما ذكرنا ـ وهو أول مسجد بني في الإسلام، شارك في ذلك رسول الله ﷺ بنفسه. ومعه الصديق رضي الله عنه وبقية الصحابة رضي الله عنهم، ولا شك أن رسول الله ﷺ صلى بالمسلمين فيه. وكان ﷺ يحث على الصلاة فيه فقال: ((صلاة في مسجد قباء كعمرة))[٢].

وصفات المتطهرين وردت في أحاديث كثيرة عن أهل قباء من الأنصار، وأنهم كانوا يتبعون الحجارة بالماء في الطهارة[٣].

وقد وردت تفصيلات أكثر عن بناء مسجد قباء[٤].

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ج٤/٢٦٦.

(٢) متفق عليه، انظر: تفسير ابن كثير، ج١/٩٠٨.

(٣) انظر: بحث مطول عن الموضوع عند ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٠٨.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٢٩٤؛ السهيلي، الروض الأنف، ج٢/٢٤٢.

ولا شك في مشاركة أبي بكر ﷺ لرسول الله ﷺ في بناء قباء، ومعه بقية الصحابة ﷺ؛ تبعًا لاهتمام الرسول ﷺ ببناء المسجد في قباء.

وقد صلى رسول الله ﷺ أول جمعة في بني سالم بن عوف في مسيره من قباء قبل وصوله إلى المدينة، ومعه الصديق ﷺ وغيره من الصحابة الكرام، وكانت أول جمعة في الإسلام.(١) وما يزال المسجد حيث صلى ﷺ مشهورًا في المدينة وهو أحد معالمها الرئيسة.(٢)

وكان ﷺ حريصًا على زيادة السكان في المدينة والتكاثر بين المؤمنين، ولذلك أثناء وجوده في قباء فرح ﷺ وفرح المسلمون معه بأول مولود للمهاجرين بعد الهجرة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٩٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٧١؛ مهدي رزق، السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص٢٨٦.

(٢) انظر: عبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١/١٤٨.

النبوية، وهو من أسباط أبي بكر الصديق ﷺ. روى البخاري ﷺ عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: ((حملت بعبدالله بن الزبير فخرجت وأنا مُتِمٌّ فأتيت المدينة، فنزلت بقباء فولدته بقباء))[(١)].

ومن أوائل أعمال رسول الله ﷺ حين وصوله المدينة تحديد موضع مسجده، فقد بركت ناقته القصواء عند موضع مسجده ﷺ،[(٢)] حيث كان ((يصلي به يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدًا للتمر لسهيل وسهل، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته هذا ـ إن شاء الله ـ المنزل، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين ففاوضهما بالمربد، ليتخذه مسجدًا فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٥٩؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٥٢.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٣٧.

يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا))[(١)].

كان الصديق ﷺ مشاركًا لرسول الله ﷺ في هذا العمل، حيث كان همّ رسول الله ﷺ إيجاد مسجد يعبد فيه الله وحده لا شريك له، وتُدار فيه الأمور وتُنظَّم[(٢)] وألا يأخذ شيئًا من مال هؤلاء الأيتام ولا من مال غيرهم.

ورغم أن الرسول ﷺ يأخذ الهبة والهدية فإنه في هذا الموضع لم يقبلها، بل أمر ﷺ بدفع الثمن من ماله، ولذلك قدر قيمتها ودفع الثمن لهما. ولعل لأبي بكر الصديق ﷺ الذي حمل معه ماله دور في هذا الأمر. ويُعد هذا المسجد أول وقف في الإسلام والمُوقف هو المصطفى ﷺ.

فقام الرسول وأصحابه ومنهم الصديق ﷺ (بتطيين) السقف وعمل الرسول ﷺ معهم، وجعل رسول الله ﷺ

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٤.

(٢) ألفت د. سعاد ماهر كتاب "مساجد في السيرة النبوية"، ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

قبلته ناحية بيت المقدس في هذا البناء الأول، الذي بني قبل تحويل القبلة.[١]

---

(١) كتبت عدة مؤلفات حول عمارة المسجد النبوي تطرقت للعمارة الأولى، منها:

- **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، الحسين بن عمر المراغي (ت، ٨١٦هـ)، تحقيق عبدالله عسيلان، ط١ ـ ١٤٢٢هـ؛
- **الدرة الثمينة في أخبار المدينة**، محمد بن محمود النجار (ت، ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق د. صلاح الدين عباس، ط١ ـ مركز بحوث المدينة ١٤٢٧هـ؛
- **المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري**، صالح لمعي، ـ بيروت: دار النهضة ١٩٨١م؛
- **تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا**، أحمد ياسين الخياري، النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٠هـ؛
- **عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ**، للشيخ ناجي محمد حسن الأنصاري، ط١ ـ من إصدارات النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ؛
- وكذلك ما كتبه عبدالعزيز كعكي في الجزء الأول من موسوعته (**المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة**)، ص١٢٤.

وقد جعل الرسول ﷺ للمسجد ثلاثة أبواب؛ أحدها باب أبي بكر، مما يدل على مكانته من رسول الله ﷺ وأنه الرجل الأول بعده ﷺ، وهو في الحائط الجنوبي جهة القبلة ـ الحالية ـ وذلك لأن القبلة كانت ناحية بيت المقدس. وباب عاتكة ويقال له باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه الرسول ﷺ في الجهة الشرقية. وعندما غُيِّرت القبلة سدَّ النبي ﷺ الباب الجنوبي وكان محله المحراب.

وكون أبي بكر ﷺ له خوخة للمسجد يدل على جيرته لرسول الله ﷺ، ولابنته أم المؤمنين عائشة ﷺ.

* * * * *

ثناء القرآن على الصديق ﷺ:

كان ﷺ وأرضاه ممن لهم السبق فيما سبق ذكره في الآية الكريمة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]،(١) بل وأولهم في كثير من الأحيان، فقد كان من السابقين السبَّاقين إلى الخير والمتنافسين فيه، ويصدق فيه مع غيره ﷺ قوله ـ تعالى ـ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].(٢)

وهو من السبَّاقين الأولين إلى الإسلام والهجرة مع رسول الله ﷺ وينطبق عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٩٧٣.

تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].(١)

ورد أن الصديق ﷺ كان يشتري المستضعفين من المسلمين بمكة ويعتقهم، وفيهم عجائز ونساء إذا أسلمن.

فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلدًا يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال ﷺ: أي أبت إنما أريد ما عند الله. ونزل في ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل].(٢)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل].(٣)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٠٣.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/٢٠٠٤.
(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/٢٠٠١.

وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل].(١)

حتى إن ابن كثير حكى إجماع المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، مع أن لفظها لفظ العموم.

الشهادة له ﷺ بالجنة وأنه أول من يدخلها من الأمة.

لما أنزل الله براءة عائشة ﷺ من حديث الإفك قال أبو بكر الصديق ﷺ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور].

قال أبو بكر: ((بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي،

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/٢٠٠٤.

فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا)).[1]

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٣٢٢/٢.

مصاهرته ﵂ للرسول ﷺ:

كان اختيار زوجات النبي ﷺ من الله رحمة به وبالأمة، فكانت خديجة ﵂ أكبر منه سنًّا، في وقت كان بحاجة لذلك، حتى إذا نزل الوحي عليه كانت خير معين ومساند، آمنت به وواسته وأعانته، وأشارت عليه بأحكم الآراء وأكثرها عونًا للرسول ﷺ، ولا شك أن هذا من عناية الله برسوله ﷺ.

كانت عائشة ﵂ المرأة الوحيدة البكر من نسائه، أصغرهن سنًّا وأكثرهن حفظًا للدِّين، هيأها الله لنبيه وأمرها وغيرها من أمهات المؤمنين بأمر عظيم، وهو حفظ الشريعة من نبيه ﷺ وتبليغها للأمة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب].(١)

وقد رأى النبي ﷺ في منامه عائشة مرتين ﵂، ويقال هذه امرأتك، فعن عائشة ﵂ قالت: قال لها النبي ﷺ:

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٩٦.

((أُريتُكِ في المنام مرتين، أرى أنك في سَرقة من حرير ويقال هذه امرأتك، فأكشف عنها فإذا هي أنتِ فأقول: إن يَكُ هذا من عند الله يُمْضِه))[١].

ولا شك أنه هذا ما أمضاه الله وأراده لنبيه ﷺ. وكانت خطبة عائشة ﷺ بعد وفاة خديجة بفترة قصيرة، وقبل الهجرة بسنتين تقريبًا. روى البخاري: ((توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنتين أو قريبًا من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين))[٢]. وهذا يعني أن الخطبة والعقد وعمرها ست سنين والدخول بها وعمرها تسع سنين.

وكان عقد رسول الله ﷺ في شوال من السنة العاشرة من البعثة، ولم يدخل بها إلا في شوال من السنة الأولى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، ج٤/٢٥٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، ج٤/٢٥٢.

من الهجرة،[(١)] وقيل بعد ذلك.[(٢)]

ولصغر عائشة ﵂ دور في تكيفها مع طبائع النبي ﷺ وتربيته لها في جوانب كثيرة، حتى أنه في مرضه الذي مات فيه رغب أن تمرضه عائشة، وأن يبقى عندها حتى توفى ﷺ ورأسه في حجرها ﵂.[(٣)]

كانت تحفظ وتعي العلم عنه ﷺ أكثر من غيرها ﵂، وامتد بها العمر حتى علَّمت أجيالاً كثيرة من الأمة، رجالاً ونساء، سُنَّةَ رسول الله ﷺ. وهذا فخر لعائشة ﵂ ولآل أبي بكر ﵁.

وكانت أحب نسائه إليه، ولم ترزق بولد، سميت أم عبدالله بابن أختها عبدالله بن الزبير ﵄ وكونها بنت

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٣٤٠.

(٢) انظر: وفاة الرسول ﷺ، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثاني، الاضطهاد والهجرة والتنمية.

(٣) انظر: وفاة الرسول ﷺ وترجمة عائشة، من في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الرابع، العالمية والدولة الإنسانية.

الصديق ﷺ أعطاها ولأبيها فرصة أكبر للأخذ من رسول الله ﷺ، كما أخذت من أبيها ﷺ في الوقت نفسه، كما أعطى فرصة لالتقاء أبي بكر برسول الله في بيتها عندها في الحضر وكذلك في السفر.

حدثت لها عدة حوادث أعطت دروسًا للأمة وأبانت فضلها ﷺ، ومن ذلك حادثة الإفك، ونزول آية التيمم.[1] وغير ذلك من الأحداث.

وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا سماه: (باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومه المدينة وبنائه بها)، روى فيه عن عائشة ﷺ قالت: ((تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري فَوقي جُميمة،[2] فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/٤٨٩؛ ورواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب وإن كنتم على سفر، ج٥/١٨٠.

(٢) مفترق شعر الرأس إذا كان قليل وناهض.

الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي. ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يَرُعْني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين))[(١)].

كما ورد أنه ﷺ قال لفاطمة ﵂ عن عائشة ﵂: ((إنها حِبة أبيكِ وربِّ الكعبة))[(٢)].

وعائشة ﵂ بل وآل أبي بكر الصديق ﵃ تشرفوا بهذا النسب، كما أنها ﵂ (زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة كما ورد في الحديث الشريف)[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، ج٤/٢٥١.

(٢) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الانتصار، ص٨٨٦، ح برقم: ٤٨٩٨.

(٣) انظر: تفصيلات كثيرة عن الحدث وغيره عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/١٣٥، في ترجمته لعائشة ﵂.

حادثة الإفك:

كانت حادثة الإفك من أهم أحداث غزوة بني المصطلق.[١] وهذه الحادثة مسّت عِرْض رسول الله ﷺ أطهر عرض وأحبّ نسائه إليه وللأمة جمعاء، وعرضها عرض لأبي بكر الصديق ﷺ، ولعل الحديث عن الحادثة من صاحبتها وهي عائشة ﷺ أصحّ الروايات في تفاصيل دقيقة، تكشف علاقة الصديق وآل بيته بالأمر. وأن ما يمس رسول الله ﷺ في القضية، كان يمس الصديق ﷺ، مع اشتراكهما في الحدث وآثاره.

وهو عند البخاري في صحيحه برواية ابن أخت عائشة، وسبط الصديق ﷺ عن عروة بن الزبير ﷺ. ((عن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج٥/٥٥؛ وانظر: تفصيل الروايات عند ابن كثير، في السيرة النبوية، ج٣/٣٠٤، تحت عنوان: "قصد الإفك".

أقْرَعَ بين أزواجه، فأيهن خرج سهْمها خرج بها رسول اللّه ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي. فخرجت مع رسول اللّه ﷺ بعد ما أُنزل الحجاب، فكنت أُحمَلُ في هودجي وأُنزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول اللّه ﷺ من غزوته تلك وقفلَ دنونا من المدينة قافلين، أُذن ليلة بالرحيل، فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري، فإذا عِقْدٌ لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحِّلوني فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون إني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العُلْقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه. وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب،

فتيمّمت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطّل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش. فأصبح عند منزلي. فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب. فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة، وهم نزول. قالت: فهلك فِيَّ مَنْ هلك. وكان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن أُبيّ بن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يُشاع ويُتحَدَث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضًا: لم يُسمّ من أهل الإفك أيضًا إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، في ناسٍ آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة ـ كما قال الله تعالى ـ وإن كِبْر ذلك يقال عبدالله بن أُبيّ بن سلول.

قال عروة: كانت عائشة ﵂ تكره أن يُسَبَّ عندها حسان، وتقول إنه الذي قال:

فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرضي

لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: "كيف تيكُم" ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشرّ، حتى خرجت حين نقهتُ، فخرجت مع أم مسطح قِبَل المناصِع،[(١)] وكان مُتَبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف[(٢)] قريبًا من بيوتنا. قالت وأَمْرنا أمرُ العرب الأُوَل في البرية قبل الغائط، وكنا

(١) المناصع: هي مواضع يُبرز إليها للبول والغائط، وعُرفتْ كمتبرَّز للنساء في المدينة. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٥/٥٣٥.

(٢) أماكن قضاء الحاجة المبنية داخل البيوت.

نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قِبلَ بيتي، حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرطها فقالت: تعس مِسْطَح. فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا، فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك ـ قالت ـ فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: "كيف تيكم". فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأريد أن استيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئةً عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله أَوَقَدْ تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله

ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلُكَ ولا نعلم إلا خيرًا. وأما عليٌّ فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسَلِ الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يُريبك". قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرًا قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبدالله بن أُبى وهو على المنبر فقال: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، وما يدخل على أهلي إلا معي". قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبدالأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من

الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميّة، فقال لسعد: كذبتَ لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يُقتل فقام أسيد بن حُضير ـ وهو ابن عم سعد ـ فقام لسعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فبكيت يومي ذلك كله، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم. قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالِقٌ كبدي، فبَيْنا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عَلَيَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا، فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: "أما بعد، يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فان كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألَمْتِ بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه". قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلصَ دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي أجِبْ رسول الله ﷺ عني فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت وأنا جاريةٌ حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا: إني والله قد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لِتُصدِّقُنّي، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: "فصبرٌ جميلٌ والله المُستَعان على ما تصفون". ثم تحولتُ واضطجعتُ على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنزِلٌ في شأني وَحْيًا يُتلى، لشأني في نفسي

كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى أنه ليتحدّر منه من العرق مثل الجُمان وهو في يوم شاتٍ، من ثقل القول الذي أُنزل عليه قالت: فسُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: "يا عائشة أمّا الله فقد برَّأَكِ". قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله ﷻ قالت: وأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾[1] الآيات، ثم انزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق: وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾[2] إلى قوله ـــ تعالى ـــ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ

(١) من الآية رقم ١١ من سورة النور.

(٢) من الآية ريم ٢٢ من سورة النور.

رَّحِيمٌ﴾، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي.

فأرْجعَ إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا. قالت: ...)).[(١)]

وقد نزلت في الحادثة آيات تتلى إلى يوم القيامة، دافعت عن عرض رسول الله ﷺ في زوجته عائشة رضي الله عنها، وعن عرض أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ابنته، في قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج٥/٥٥ ـ ٦٠؛ وقارن بابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٩٧ ـ ٣٠٧.

أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

[النور].

لقد كان واضحًا أن الأمة كلها مستهدفة في أخلاقها، فإذا اتُّهم رسول الله ﷺ، وأهله وصاحبه في أخلاقهم وأعراضهم فإن بيوت الأمة كلها لا تسلم، ولذلك صرح القرآن الكريم بأن هذا العمل كان من أهدافهم.

* * * * *

حبه ﷺ للرسول ﷺ وآل البيت:[١]

كان ﷺ قائد جيش الشاكرين المحاربين للمرتدين، وهذا دليل حبه لله ﷻ وتذللّه للمسلمين مع تذلل بعضهم لبعض وعزتهم على الآخرين مع الثبات على الدين، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة].

وحب رسول الله ﷺ واجب وفرض على كل مسلم، والمحبة لله تقترن بإجلال الرسول ﷺ.

روى فيه عن أبي هريرة ﷺ وعن أنس ﷺ أنه ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))[٢].

---

(١) انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣/٣٤٣.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب رسول الله ﷺ، ج١/٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل، ج١/٦٧.

والصديق ﷺ أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، ولا شك في عظيم حبه لله ولرسوله ﷺ، بل إن هذا الحب يمتد لما قبل مبعث رسول الله ﷺ، حيث الصحبة والمحبة المتبادلة بينهما.

ومحبة الله ـ سبحانه ـ للعبد قرنت باتباعه سنة نبيه ﷺ يقول ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران].

وقد أشار الله إلى المحبة بين الصحابة، وخص الأنصار بمحبتهم للمهاجرين، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

ويأتي على رأس أصحاب رسول الله ﷺ في محبته لرسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ الذي كان أول من آمن به ودافع عنه في مكة قبل الهجرة، وصحبه في

هجرته ﷺ. وحينما أُذن لرسول الله ﷺ بالقتال كان أبو بكر ﷺ معه في كل الميادين دون استثناء، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في أي موضع.

وله مواقف خاصة في غزوة بدر،[1] حيث كان مع المصطفى ﷺ. ويصف علي بن أبي طالب ﷺ شجاعة الصديق في هذا الموقف بقوله: ((إنه خَطَبَهم فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما أني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحادّه، وهذا يتلتله ويقولون: أنت

(١) انظر: غزوة بدر، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثالث، إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا.

جعلت الآلهة إلهًا واحدًا فواللّه ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي اللّه، ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم اللّه أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فواللّه لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، فهذه خصوصية للصديق، حيث هو مع الرسول في العريش، كما كان معه في الغار - رضي الله عنه وأرضاه - ورسول اللّه ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به: "اللهم إنك إن تهلك هذا العصابة لا تعبد بعدها في الأرض". وجعل يهتف بربه ﷻ ويقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك"، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه، ويقول مشفقًا عليه

من كثرة الابتهال: يا رسول الله بعضَ مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك)).[١]

كما شارك برأيه في أسرى بدر بناءً على طلب رسول الله ﷺ وكان رحيمًا بقومه، حيث كان ممن رأى فداء الأسرى لعل الله أن يهديهم.[٢]

حين نقضت قريش صلح الحديبية وعزم ﷺ على غزو مكة أتى أبو سفيان إلى النبي ﷺ في المدينة فكلمه فلم يرد عليه،[٣] ثم أتى أبا بكر ﷺ ليتوسط له عند النبي ﷺ فقال: "ما أنا بفاعل".[٤]

وهذا يدل على أن الصديق ﷺ هو الرجل الأول بعد رسول الله ﷺ ولذلك توجه له أبو سفيان.

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٢٧٢؛ الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٨٠.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٩٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٣٩٧.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٣٩٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥٣١؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص٣٢٦.

وعند استشهاد جعفر بن أبي طالب ﷺ في مؤته حزن ﷺ على وفاة جعفر وغيره ودعا لهم: ((اللهم اخلف جعفرًا في أهله بأفضل ما خلفت عبدًا من عبادك الصالحين)).[١]

فتزوج بعد ذلك أبو بكر الصديق ﷺ من أسماء بنت عميس زوجة جعفر، واحتضن أولاده من بعده ولعلَّ ذلك استجابة لدعوته ﷺ ولمشورته على أبي بكر ﷺ. وبعد وفاة الصديق ﷺ تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ واحتضن أولادها من جعفر وأبي بكر.[٢]

أهل الصفة من المهاجرين سكنوا حجرة في مسجد رسول الله ﷺ، كانوا عزابًا فقراء لا يجدون ما يأكلون،[٣] وكان رسول الله ﷺ إذا أتته صدقة بعث إليهم ((أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال إذا أتته ﷺ صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص٣٧٠.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١.

(٣) أبو تراب الظاهري، أصحاب الصفة، ـ جدة: دار القبلة ١٤٠٣هـ.

شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها))[١].

وكان رسول الله ﷺ يطلب من ذوي العائلات من الصحابة إطعامهم وقال ﷺ: ((من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس، وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي ﷺ بعشرة))[٢].

كان الصديق أكثر الصحابة اقترابًا من رسول الله ﷺ في كل غزواته. ففي بدر كان يحمل سيفه دفاعًا عن رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٣/٢٨٧؛ وانظر: الصوياني، السيرة النبوية، ج٢/٢٩؛ وانظر: ما كتبه د. أكرم العُمري عن أهل الصفة في المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، ص٨٩.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٢/٢٢ ـ ٣٣؛ الصوياني، السيرة النبوية، ج٢/٣٢.

حيث كان ﷺ ليلة بدر يصلي ويبكي متضرعًا إلى الله بالدعاء أن ينصر المؤمنين. وكان مما قال في دعائه ﷺ في العريش في تلك الليلة أو من صبيحتها: ((اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا)). وكان الصديق رضي الله عنه مؤمنًا بنصر الله لرسوله، يقول: ((يا رسول الله كفاك بعض مناشدتك ربك فوالله لينجزن الله لك ما وعد)).(١) حيث أخذ أبو بكر بيده ﷺ وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج ﷺ وهو في الدرع يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[القمر].(٢)

وانتظر القوم أمر الرسول ﷺ ببدء القتال،(٣) فاستبشر المسلمون بعد أن خرج إليهم ﷺ، وهو يقرأ قوله ـ تعالى ـ:

---

(١) انظر: غزوة بدر، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثالث، إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا.

(٢) رواه البخاري، (فتح الباري)، ج١٨/٢٥٤.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٨٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٢٤.

﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر].(١) وأخذ ﷺ يدعوه ويشجع الناس على القتال ويذكرهم بالجنة ويبشرهم بنزول الملائكة معهم. وهم الذين ورد ذكرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الأنفال]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنفال].

فقد أمرت قريش عروة بن مسعود بلقاء رسول الله ﷺ وقالوا له: انطلق إلى محمد ولا نؤتين من ورائك، فخرج عروة حتى أتاه، وحاوره، ثم رجع عروة إلى قريش فقال:

---

(١) انظر: حديث البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة القمر، باب قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر، ج٥/٥٤؛ ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٤؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٨٠.

تعلمن والله ما على الأرض قوم أحب إليّ منكم، إنكم لأخواني وأحب الناس إليّ، ولقد استنصرت لكم الناس في المجامع، فلما لم ينصروكم أتيتكم بأهلي حتى نزلت معكم إرادة أن أواسيكم. والله ما أحب من الحياة بعدكم، فلتعلمن أن الرجل قد عرض نَصَفًا فاقبلوه، تعلمن أني قد قدمت على الملوك ورأيت العظماء فأقسم بالله إن رأيت ملكًا ولا عظيمًا أعظم في أصحابه منه، لا يتكلم منهم رجل حتى يستأذنه، فإن هو أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت، ثم إنه ليتوضأ فيبتدرون وضوءه ويصبونه على رؤوسهم، يتخذونه حَنَانًا.[1]

ولعل الصدِّيق ﷺ كأن أشد الناس حبًا لرسول الله ﷺ. روى البخاري ﷺ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: ((إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله))،

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٢٧٠ ـ ٢٧٤؛ وانظر إلى أجزاء مختلفة من الرواية عند البخاري في صحيحه، ج٥/٦٩. (والحنَّان هو المبارك العطوف المشفق المرغوب).

قال: فبكى أبو بكر ﷺ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: ((إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر،[(١)] ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سُد إلا باب أبي بكر))[(٢)].

ومن المعروف قول عمر بن الخطاب ﷺ عند بيعة أبي بكر ﷺ: ((يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السبّاق المُسن))[(٣)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩١؛ وصحيح مسلم، ج٧/١١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: ((سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر))، ج٤/١٩٠.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٩٣؛ وقد نقل ابن أبي شيبة القول عن أبي عبيدة في المغازي، ص٤٢٩.

ورسول الله ﷺ خليل الرحمن، كما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي))[(١)].

وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما هي الثالثة في ترتيب زوجاته ﷺ. عاشت مع رسول الله ﷺ في المدينة وكانت تسافر معه في كثير من غزواته حينما يقع السهم عليها، وقد أحبها الرسول ﷺ وبشرها بمرافقته في الجنة أكثر من مرة[(٢)].

صحبت الرسول ﷺ في عدد من غزواته، وبرأها الله من الإفك الذي اتهمها به المنافقون، ومن سار على دربهم في آيات تتلى إلى يوم القيامة ـ كما مرَّ الحديث عنه[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خليلاً))، ج٤/١٩١؛ وانظر: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ...، باب قول النبي ﷺ: ((سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر...))، ج٤/١٩٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٧٩.

(٣) انظر حادثة الإفك في غزوة بني المصطلق، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ــ دين ودولة)، القسم الخامس، المعايشون للمصطفى ﷺ.

روي عن عمْرُو بْن الْعَاصِ ﷺ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "عَائِشَةُ". قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: "أَبُوهَا". قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ عُمَرُ"))[1].

وقد كان ﷺ يرتاح عندها أكثر من غيرها مع عدله بين زوجاته عليهن السلام، ولذلك طلب ﷺ أن يمرض عندها ﷺ وفي حجرتها. ومات ﷺ على صدرها، وكونها ملاصقة له في آخر أيامه أبان عن فضلها ومحبتها، ومكانتها عند رسول الله ﷺ، وهو أعلم بها من غيره ﷺ. كما أنها ثقة آل بيته ﷺ وهي منهم وائتمانهم والأمة إياها على أغلى البشر ﷺ، في آخر أيامه. وكانت شابة حافظة لكل ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، وقد ثبتت حكمة رسول الله ﷺ في أن يُمرَّض عند عائشة ﷺ. حيث

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب المناقب، باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/١٩٢؛
ومسلم في صحيحه، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٧/١٠٩.

حفظت عنه ووعت، كما كانت لها محبة خاصة في قلبه، وراحته عندها لا يجدها ﷺ عند غيرها. وهذا من منطوق الحديث الشريف ((اللهمَّ هذا قَسْمِي، فَيما أَمْلِكُ فَلا تَلُمْني، فِيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ)).[(١)]

كان الصديق رضي الله عنه حسن الصلة بكل من له مكانة عند رسول الله ﷺ فهذه (أم أيمن)، جارية والده عبدالله، وكان بها بارًا طوال عمرها، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وشهدت وفاته كما شهدت ولادته ﷺ.[(٢)] فأتاها أبو بكر وعمر ليعزياها في رسول الله ﷺ عند وفاته،

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، ص٣٧٠، ح رقم: ٢١٣٤، وضعفه الألباني؛ والترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، ج٣/٤٤٦، ح برقم: ١١٤٠؛ وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء، ج١/٦٣٣، ح برقم: ١٩٧١.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوة، ج١/٢٢٣؛ وانظر ترجمتها عند: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٥٧؛ وانظر تفصيلات عن أم أيمن في موضوع المعايشون للنبي ﷺ، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الخامس.

فلما أتياها بكت فقالا: ما يبكيك، قالت: لا أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي لأن الوحي قد انقطع من السماء فجهشا بالبكاء.(١)

والصديق لشدة حبه لرسول الله ﷺ واحترامه له، حين خطب على منبر رسول الله ﷺ نزل درجة عن مقام رسول الله ﷺ أي كان يخطب على الدرجة الثانية.(٢)

* * * * *

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أم أيمن ﷺ، ج٤/١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) انظر: ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٢٦٩.

غزواته وأسفاره ﷺ مع النبي ﷺ:

كانت لرسول الله ﷺ أسفار متعددة بعد البعثة، وخصوصًا ما يرتبط بغزواته ﷺ. وكان الصديق رفيقه في جميع أسفاره وغزواته دون استثناء، في كل غزوة له موقف يأمنه ﷺ ويثق به ويستشيره ويسانده، في بدر وأحد والحديبية وخيبر وتبوك وغيرها.

ولكل منها موقف وحدث نقلته الروايات عن الصديق ﷺ وكان ﷺ المستشار الأول لرسول الله ﷺ في كل الأوقات.

مشاورة النبي ﷺ للصديق ﷺ:

من المعروف حرص رسول الله ﷺ على المشاورة، فكان ﷺ يُكثِر مِن مُشاورة أصحابه في قضايا الحروب والسِّلْم؛ قال أبو هريرة ﷺ: ((ما رأيت أحدًا أكثر مُشاورةً لأصحابه مِن رسول الله ﷺ))[(١)].

والشورى ثابتة في حياته ﷺ ابتداء بخديجة ﷺ بعد

---

(١) انظر: ابن حبان في صحيحه، ج١١/٢٧١.

نزول الوحي عليه وذهابه معها لورقة بن نوفل، مرورًا بأحداث سيرته العطرة المختلفة، وكان أقرب الناس له للمشاورة هو الصديق ﷺ. ووقائع الشورى التي شارك فيها الصديق ثابتة في بدر وأحد والخندق، وفي غزوة الحديبية،[(١)] وفتح مكة، وغيرها. فلا نكاد نرى موقف شورى في حياة النبي ﷺ إلا وللصديق فيه باع طويل.

كما كان ﷺ يستشير أبا بكر في تعيين الأمراء والعمال والقادة، ولعل من ذلك حين أراد بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن استشار الصديق ﷺ.[(٢)]

وقد روى ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر)).[(٣)]

---

(١) انظر: ابن حبان في صحيحه، ج١١/٢٧١.

(٢) انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣/٤٢٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب (١٧)، ج٥/٦١٦، ح برقم: ٣٦٨٠.

واستِشارَة أبي بكْر وعُمر في أمْر الخروج إلى حمراء الأسد، ثابتة وهما أقرب أصحابه إليه، وكانا دومًا إلى جانبه، وكان أمر الخروج إلى حمراء الأسد أمرًا عاجِلاً لا يَحتمِل الإبطاء، كما أنهما مُستشاراه المُقرَّبان ووزيراه، فاستَشارهما ﷺ كثيرًا.(١)

وقد أشار الصديق رضي الله عنه في غزوة خيبر على رسول الله ﷺ بالتوقُّف عن قطْع النخل؛ حيث إنَّ هذا الأمر قد أدَّى مفعوله في معنويات يَهود، ولم يَعُدْ هناك ما يُسوِّغ الاستمرار في القطع، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ((يا رسول الله، إن الله ﷻ قد وعدَكم خيبر، وهو مُنجِز ما وعدَك، فلا تقطع النخل، فأمر فنادى مُنادِي رسول الله ﷺ فنهَى عن قطْع النخْل)).(٢)

وجهاده مع النبي ﷺ في غزوة بدر حين وصلت قريش،

---

(١) الصالحي الشامي، سُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد، ج٤/٤٣٩.

(٢) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/٦٤٤.

وهي عازمة على الحرب طرح ﷺ الأمر على جموع صحابته المرافقين له قائلاً لهم: ((أشيروا عليّ أيها الناس))، وتكلم جمع من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر ﷺ، وكان من المتكلمين المقداد بن عمرو الذي قال: ((يا رسول الله والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة].[1] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه)).[2]

فدعا له الرسول، ثم قال مرة أخرى: ((أشيروا عليّ أيها الناس)).

ومع مشاورة النبي ﷺ للصديق ﷺ فقد كان يُسر إليه في كثير من الأمور، ويكتم سر النبي ﷺ، كما حصل

---

(١) من الآية رقم ٢٤؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج/٢١٥.

(٢) انظر: حول هذه المشاورة: ابن هشام السيرة النبوية، ج٢/٢١٥؛ وقارن بحديث البخاري (فتح الباري)، ج١٥/١٥١.

في زواجه من حفصة رضي الله عنها، وفي الإعداد لفتح مكة، وفي غيرها من حوادث السيرة النبوية.(١)

راية الرسول ﷺ:

كان الصديق رضي الله عنه يحمل راية رسول الله ﷺ في أكثر من غزوة. وحينما خرج ﷺ إلى بني المصطلق في غزوة المريسيع في شعبان من السنة السادسة من الهجرة، كان قوام الجيش المهاجرون رضي الله عنهم الذين يحمل رايتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.(٢)

كما حمل راية رسول الله ﷺ العظمى في غزوة تبوك، وهي مهمة عظيمة في هذا الجمع الكبير.(٣)

* * * * *

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٨١.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٦٤.

(٣) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٦٢.

حج أبي بكر ﷺ بالناس (سنة ٩هـ):[١]

فتح الرسول ﷺ مكة في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة، ولم يحج في نفس السنة، ولم يؤمِّر على الحج، ثم انشغل ﷺ باستقبال الوفود وعدد من الغزوات والسرايا، منها غزوة تبوك. وحينما جاء موسم الحج في السنة التاسعة من الهجرة كره ﷺ أن يحج ﷺ ذاك العام، في وقت يَحضُر الحج مشركو العرب كعادتهم، ولذلك قال ﷺ: ((إنه يحضره عُراة مشركون يطوفون بالبيت فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك)).[٢]

واختار الرسول ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أميرًا على الحج لذلك العام. وهذا شرف عظيم للصديق في النيابة عن رسول الله ﷺ. وبعد خروجه دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ، وحمَّله صَدْر سورة التوبة (براءة) ليبلغها

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس، ج٥/١١٥.

(٢) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٥٣٦.

الناس في الحج، وفيها إعلانٌ للمشركين ألا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، ونَبذٌ لعهود من له عهد حول الحرم من المشركين، ولذلك حرص الرسول أن يبلغ عنه أحد من أهل بيته، وقال لعلي ﷺ: ((لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا أحدٌ من أهل بيتي))[(١)].

وفي هذا تكامل بين الصديق وعلي ﷺ.

وخرج علي ﷺ على العضباء ناقة رسول الله ﷺ فلحق بأبي بكر الصديق في ذي الحليفة، ولما رآه الصديق سأله بكل أدب: أميرٌ أم مأمور؟ فرد علي ﷺ بكل أدب بل مأمور[(٢)].

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ((فسيحوا في الأرض))، ج٥/٢٠٢؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٣/٢٨٣؛ والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة التوبة، ج٥/٢٧٥، ح برقم: ٣٠٩٠.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٦٩؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ((فسيحوا في الأرض))، ج٥/٢٠٢.

وواصلا الطريق إلى مكة. وتعاون الصِّديق وعلي ﷺ، حيث كان الصديق أمير الحج وخطيبهم وإمامهم وعلي ﷺ يتلو الآيات من سورة التوبة (براءة) على الناس وفيها قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ

عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ
إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ
إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ
ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ
عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ
لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا
نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم
بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ
لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم
بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ
﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ
أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ
ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ
مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ
إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ
وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا

وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة].

وكان بعض الصحابة يبلغون تلك الآيات للناس بترتيب مع الصديق ومع علي ﷺ، الذي ناب عن النبي ﷺ في هذا الأمر، ويؤكدون عليهم ألاَّ يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. روى البخاري عن أبي هريرة ((أن

أبا بكر الصديق ﷺ بعثه في الحجة التي أمَّره عليها النبي ﷺ قبل حجة الوادع يوم النحر في رهط يؤذّن في الناس لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان))[1].

ولا شك أن عليًّا ﷺ من آل البيت يمثل النبي ﷺ ويستوثق منه الناس[2].

والصديق وعلي ﷺ يكمل بعضهم بعضًا، هدفهم واحد، هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله في الحج وفي غيره.

* * * * *

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس، ج٥/١١٥.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ص٦٥٥؛ رواه الترمذي في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (١٠) ومن سورة التوبة، ج٥/٢٧٥ ـ ٢٧٦، ح برقم: ٣٠٩١؛ وأحمد في المسند، ج١/٧٩.

خلافته ﷺ لرسول الله ﷺ:

كان الرسول ﷺ إمام المسلمين في صلاتهم، ورأس الخلافة الإسلامية وقائدها وبانيها، وكان همه ﷺ والأمة كلها استمرار الخلافة والنظام وحفظ الحقوق وقيام الدين. وهدف الرسول ﷺ الامتداد إلى أنحاء العالم المختلفة لتبليغ الرسالة ـ كما بشر بذلك ـ والسعي لضمان العدل والأمن للناس كافة، مع التفكير بداية بفارس والروم المجاورة لبلاد العرب. ومن هنا جاء توجيهه ﷺ لجيش أسامة بن زيد ﷺ وإعداده للخروج قبيل وفاته إلى أطراف الشام.[(١)] وهذا يعني ضرورة وجود رأس قيادة للدولة يتولى تنفيذ أوامر الرسول ﷺ ووصاياه. وإقامة شرع الله والامتداد العالمي للدولة والدعوة الإسلامية.

وكان هذا همًّا للرسول ﷺ، ومع ذلك فإنه لم يوص

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة ابن زيد في مرضه الذي توفي فيه، ج٥/١٤٥.

لأحد بعينه ليلي الأمر من بعده.[١] وقد كانت هناك إشارات اتضح منها ترجيحه لأبي بكر الصديق ﷺ لهذا الأمر. وكان عماد الدولة الإسلامية بالدرجة الأولى سكان المدينة الأنصار، إضافة إلى المهاجرين ﷺ، ولكل مكانته كمجموع في السلطة وإدارة الخلافة ومساعدة الرسول ﷺ في شؤونها المختلفة، مع تفاوت في المهام والمكانة بين أفرادهم.

كان واضحًا للجميع ما تنزل من آيات تأمر بالاستمرار وحمل الدين، وما يطلبه من نظام وعدم الرجوع إلى الوراء بعد موت الرسول ﷺ:[٢] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٣ ـ ١٤٤؛ وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، وفاة الرسول ﷺ، القسم الرابع، العالمية والدولة الإنسانية، ص١٠٦٢.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٣ ـ ١٩٤.

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران].[1] نعم إنهم الشاكرون الذين اختاروا أبا بكر ليقيموا نظامًا مستعدًا للقضاء على من ينقلب على عقبيه من المرتدين وأمثالهم. واتضح معنى الآية في ذلك الموقف والحفاظ على القوة والنظام، والاستعداد للدفاع عن دولة الرسول ﷺ ضد المرتدين الذين قيض الله لهم أبا بكر وأعوانه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٠٤.

علاقته ﷺ بأصحاب النبي ﷺ:

كان صحابة النبي ﷺ يعرفون للصديق فضله، ويقدرون قدره.

عن أبي الدرداء ﷺ قال: ((كنت جالسًا عند النّبيّ ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النّبيّ ﷺ: أمّا صاحبكم فقد غامر، فسلّم وقال: يا رسول اللّه إنّه كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك. فقال: يغفر اللّه لك يا أبا بكر (ثلاثًا)، ثم إنّ عمر ﷺ ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النّبيّ ﷺ فسلّم عليه فجعل وجه النّبيّ ﷺ يتمعّر حتى أشفق أبو بكر ﷺ فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول اللّه واللّه أنا كنت أظلم، مرتين، فقال ﷺ: إنّ اللّه بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين. فما أوذي بعدها.

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: هل أنتم تاركو لي صاحبي، هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ إنّي قلت يا أيّها الناس إنّي رسول الله إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت)).[(١)]

لعل مما يكشف علاقته ﷺ بالصحابة معرفة من أسلم بدعوته ﷺ، فقد أسلم عَلَى يديه الرعيل الأول من الصحابة، وفيهم معظم العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم ﷺ.[(٢)]

كما كان فيهم عدد من النساء، منهن أسماء بنت أبي بكر الصديق، وفاطمة بنت الخطّاب، وفاطمة بنت

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٢.

(٢) علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٩.

المحلل، وفكيهة بنت يسار، ورملة بنت أبي عوف، وأمينة بنت خلف زوجة خالد بن سعيد بن العاص، وسمية أم عمار رضي الله عنهن وغيرهن.[١] ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء المسلمات تأثرن بإسلام أزواجهن، وبالتالي تكونت بيوت وأسر مسلمة وسط مجتمع مكة الكبير.

ولا شك في حسن علاقته ﷺ بهؤلاء قبل دعوتهم للإسلام وبعد إسلامهم. أحسن الصديق اختيار الرجال الذين كانوا نواة أمة الإسلام وحملة الرسالة إلى العالم. وكان رضي الله عنه رحيمًا بهم عطوفًا عليهم حينما دعاهم إلى الإسلام، يقول ﷺ عن الصديق: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر))[٢].

ولعل في قصة شراء بلال رضي الله عنه من قبل أبي بكر رضي الله عنه وعتقه له أفضل الشواهد على علاقته ﷺ بالصحابة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٥٤؛ وانظر: إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص٥٤؛ وصالح الشامي، من معين السيرة، ص٣٨.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح، ج٢/٨؛ (نقلاً عن الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٣٧).

فبلال ﷺ من أصل حبشي، أمه حمامة، وكان مولى لأمية بن خلف الجمحي أحد عتاة قريش وجبابرتها، من أشدهم أذى لرسول الله ﷺ ولأصحابه،[(١)] أسلم بلال مبكرًا، وآمن برسول الله ﷺ فلما علم أُمية بن خلف بإسلامه آذاه أشد الأذى، وعذبه، وأذن لبقية مشركي مكة بتعذيبه، فكان أمية بن خلف يخرج بلالاً ﷺ إلى الشمس في بطحاء مكة ورمضائها وحرها الشديد فيضع بلالاً مجرد الظهر والبطن على الحصباء، ثم يضع الحجارة الثقيلة على صدره، ويهدده بأنها لا تُزَالُ عنه حتى يكفر بالله وبمحمد ﷺ، ويعبداللات والعزى، ولكن بلالاً ﷺ أصر على التمسك بالدين، والصبر على الأذى، فيردد: أحد أحد! فيزيد غيظ القوم عليه ويتشددون بالعذاب. وكان يقول (لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم لقلتها).[(٢)] كانوا يربطون حبلاً في عنقه ويدفعون به إلى الصبيان ليجروه على الشوك والحجارة في

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٤٩٤.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨.

مكة، فلا يزداد إلا إيمانًا وتمسكًا بدين الله. مر به أبو بكر الصديق ﷺ، وأُمية بن خلف يعذبه عذابًا شديدًا، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ فقال أمية أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال الصديق ﷺ: أفعل. فعوضه أبو بكر ـ دفع له مالاً ثمنًا له ـ وكان عمر يقول: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا).(١)

وصار بلال ﷺ بعد عتقه من أكثر الناس التصاقًا برسول الله ﷺ. وقد قال ﷺ: ((لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأُخْفِتُ في الله وما يَخَافُ أحدٌ ولقد أتت عليَّ ثلاثون من يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكلهُ ذو كبد إلا ما يواريه إبط بلال)).(٢)

وبعد الهجرة أصبح مؤذن رسول الله ﷺ واشتهر بهذا اللقب، وبشره الرسول ﷺ بالجنة، كما شارك في جيوش

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/٢١٧؛ وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٥١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٢/١٢٠.

فتح الشام وأصبح من أمرائها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(١)] وكان من صالحي المسلمين ومعلميهم رضي الله عنهم وأرضاه.

كما كان هناك عدد من الإماء نالهن عذاب مواليهن من قريش، منهن حمامة أم بلال بن رباح، وأم عنيس، وزنيرة، وجارية بني المؤمل والنهدية وابنتها، وكانتا جاريتين لامرأة من بني عبدالدار من قريش.[(٢)] وقد تعرضن جميعهن للأذى ومحاولة حرفهن عن دينهن وقد كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه دور في إنقاذهن بأن اشتراهن من أهلهن وأعتقهن في سبيل الله.[(٣)]

لعل شهادات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المتعددة له رضي الله عنه وإن تكررت تبين علاقته بهم، ومكانته عندهم، كما وردت رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وُضِع على

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٢٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/١٦٥.

(٢) محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٣٤٦.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٩.

سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب)).[1]

وكان الناس في حياة الرسول ﷺ يسألون ويناقشون عن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ فيذكرون الصديق ﷺ أولهم، عن ابن عمر ﷺ قال: ((كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان)).[2]

وقد أشار حسان بن ثابت ﷺ شاعر رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩٧. (سبق الاستشهاد بالرواية في موضع آخر).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ج٤/١٩١.

فيما نقل ابن عباس ﷺ من شعره إلى مبادرة الصديق إلى الإسلام. وهذه الأبيات التي نقلها ابن عباس ﷺ شهادة منه ومن حسان ﷺ القائل:

إذا تَذَكَّرتَ شَجوًا مِن أَخي ثِقَةٍ
فَاذكُر أَخاكَ أَبا بَكرٍ بِما فَعَلا
خَيرَ البَرِيَّةِ أَتقاها وَأَعدَلَها
إِلا النَبِيَّ وَأَوفاها بِما حَمَلا
وَالثانِيَ الصادِقَ المَحمودَ مَشهَدُهُ
وَأَوَّلَ الناسِ مِنهُم صَدَّقَ الرُسُلا[1]

حادثة السقيفة:

في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار - وهم أهل المدينة - قبل هجرة الرسول ﷺ إليها، إلى سعد بن عبادة ﷺ. وهو من زعمائهم في سقيفة بني ساعدة، في وقت كان علي بن أبي طالب وبقية آل البيت

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٢٥.

عند فاطمة ﷺ. وكان عمر ﷺ مع بعض المهاجرين والأنصار مجتمعين عند أبي بكر الصديق ﷺ.[1] وكان الوضع صعبًا والتفكير قائمًا، فالأنصار يرون أنهم أهل المدينة وسلموها للرسول ﷺ بعد الهجرة، وأن الأمر بعد الوفاة يتطلب ترتيبًا جديدًا، ربما يكون في نظر بعضهم عودة القيادة فيها بعد وفاة المصطفى ﷺ لأهلها. وكان غالبية الأنصار والمهاجرين يرون أن الوضع اختلف، وأن دولة إسلامية نظامية أشمل وأوسع من المدينة قامت، وستستمر بعد الرسول ﷺ بنظام وترتيب بعيدًا عن أي وضع سابق قبل الهجرة. وكان أكثر الناس تأهيلاً لقيادة الدولة هم أكثر الناس فهمًا لنظامها وترتيبها وشرعها، وهم المهاجرين السابقون الذين صحبوا الرسول في مكة والمدينة وتعلموا على يديه، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق، وأنهم أولى الناس بالأمر من بعده. وهذا الأمر كان مفهومًا عند بعض الأنصار وعند المهاجرين من أهل المدينة.

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٨٨؛ ابن أبي شيبة، المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص٤٢٤.

ولذلك بادر بعض الأنصار بإبلاغ أبي بكر وعمر ومن معهم باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وطلبوا منهما حضور ذلك الاجتماع، قبل أن يصدر عنه شيء يكرهونه. وكان هذا دليلاً على حرص الأنصار أن يحضر شيوخ المهاجرين اجتماعهم، فقال عمر لأبي بكر: ((انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه))[(١)].

وفي الطريق قابلا رجلين من الأنصار، هما عويمر بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدى من بني العجلان، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم.[(٢)] كان واضحًا أن القضية ليست منافسة بين المهاجرين والأنصار، بل كان حدثًا فيه الكثير من التقدير والاحترام بين الفئتين اللتين وصفهما الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٧.

(٢) من حديث عمر بن الخطاب، المغازي، لابن أبي شيبة، ص٤٢٤؛ انظر: الروض الأنف، ج٤/٤٧٢.

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة].(١)

فالذي بلَّغ أبا بكر وعمر بالاجتماع هم من الأنصار، والذين قالوا: لا عليكم اقضوا أمركم من الأنصار، وعمر ﷺ قال: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فالكل يرى أنه أخٌ للآخر، ليست منافسة ولا حبًا في الرئاسة، لكنه اجتهاد في الحق والوصول إلى الأفضل، وإن كان للبعض ممن يكرهون الصحابة رأي آخر مبني على الشك في الصحابة أصلاً وفي كل تصرفاتهم.

ولعل عمر ﷺ أحسّ في وقت متأخر من خلافته بمثل هذا الرأي، فحدث الناس بنفسه عما وقع في سقيفة بني ساعدة في حديث طويل رواه ابن عباس ﷺ قال: ((كنت اختلف إلى عبدالرحمن بن عوف ونحن بمنى مع عمر بن الخطاب، أُعلم عبدالرحمن بن عوف القرآن، فأتيته في

(١) انظر: ابن كثير، تفسيرة، ج١/٩٠٣.

المنزل فلم أجده، فقيل: هو عند أمير المؤمنين، فانتظرته حتى جاء، فقال لي: قد غضب هذا اليوم غضبًا ما رأيته غضب مثله منذ كان، قال: قلت: لم ذاك؟ قال: بلغه أن رجلين من الأنصار ذكرا بيعة أبي بكر، فقال: واللّه ما كانت إلا فلتة، فما يمنع امرئ إن هلك هذا أن يقوم إلى من يحب، فيضرب على يده، فتكون كما كانت، قال: فهمّ عمر أن يكلم الناس، قال: فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك ببلد قد اجتمعت إليه أفناء العرب كلها، وإنك إن قلت مقالة حُملت عنك، وانتشرت في الأرض كلها، فلم تدر ما يكون في ذلك، وإنما يعينك من قد عرفت أنه سيصير إلى المدينة، فلما قدمنا المدينة، رحت مهجرًا حتى أخذت عُضادة المنبر اليمنى، وراح إليّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل حتى جلس معي، فقلت: ليقولن هذا اليوم مقالة ما قالها منذ استخلف، قال: وما عسى أن يقول، قلت: ستسمع ذلك، قال: فلما اجتمع الناس، خرج عمر حتى جلس على المنبر، ثم حمد اللّه وأثنى عليه، ثم ذكر رسول اللّه ﷺ فصلى عليه، ثم قال: إن اللّه أبقى رسوله بين أظهرنا ينزل عليه الوحي من اللّه

يحل به ويحرم، ثم قبض الله رسوله، فرفع معه ما شاء أن يرفع، وأبقى منه ما شاء أن يبقى، فتشبثنا ببعض، وفاتنا بعض، فكان مما كنا نقرأ من القرآن {لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم}، ونزلت أية الرجم، فرجم النبي ﷺ ورجمنا معه، والذي نفس محمد بيده! لقد حفظتها وعلمتها وعقلتها، لولا أن يقال: كتب عمر في المصحف ما ليس فيه، لكتبتها بيدي كتابًا، والرجم على ثلاثة منازل، حَمْل بَيِّن، أو اعتراف من صاحبه، أو شهود عدل، كما أمر الله.

وقد بلغني أن رجالاً يقولون في خلافة أبي بكر: إنها كانت فلتة، ولعمري إن كانت كذلك، ولكن الله أعطى خيرها ووقى شرها، وأيكم هذا الذي تنقطع إليه الأعناق كانقطاعها إلى أبي بكر، إنه كان من شأن الناس أن رسول الله ﷺ توفِّى فأتُينا، فقيل لنا: إن الأنصار قد اجتمعت في بني ساعدة مع سعد بن عبادة يبايعونه، فقمت وقام أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح نحوهم فزعين أن يُحدِثوا في الإسلام فتقًا، فلقيَنا رجلان

من الأنصار، رجلا صدقٍ: عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي، فقالا: أين تريدون؟ فقلنا: قومكم لما بلغنا من أمرهم، فقالا: ارجعوا فإنكم لن تُخالَفوا، ولن يؤتى شيء تكرهونه، فأبينا إلا أن نمضي، وأنا أزوي كلامًا أريد أن أتكلم به، حتى انتهينا إلى القوم، وإذا هم عكوف هناك على سعد بن عبادة، وهو على سرير له مريض، فلما غشيناهم تكلموا، فقالوا: يا معشر قريش، منا أمير ومنكم أمير، فقام الحباب بن المنذر فقال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، إن شئتم والله رددناها جذعة، فقال أبو بكر: على رسلكم، فذهبت لأتكلم، فقال: أنصت يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار! إنا والله ما ننكر فضلكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا، ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام. ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: لي

ولأبي عبيدة بن الجراح، فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة، قال: فوالله ما بقي شيء كنت أحب أن أقوله إلا وقد قاله يومئذ غير هذه الكلمة، فوالله لأن أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا في غير معصية، أحب إلي من أن أكون أميرًا على قوم فيهم أبو بكر، قال: ثم قال عمر: يا معشر الأنصار! يا معشر المسلمين! إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار، أبو بكر السباق المبين، ثم أخذت بيده وبادرني رجل من الأنصار، فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده وتتابع الناس، وميل على سعد بن عبادة، فقال الناس: قُتل سعد، فقلت: اقتلوه قتله الله، ثم انصرفنا وقد جمع الله أمر المسلمين بأبي بكر، فكانت لعمرُ الله فلتة كما قلتم، أعطى الله خيرها ووقى شرها، فمن دعا إلى مثلها فهو الذي لا بيعة له ولا لمن بايعه)).[1]

(١) ابن أبي شيبه، المغازي، ص٤٢٢ ــ ٤٢٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٩.

لقد كان واضحًا من الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة احترام الأنصار للمهاجرين، والمهاجرين للأنصار وتبادل الآراء، وزهد أبي بكر وعمر ﷺ في الخلافة،[(١)] وحرصهم جميعًا على استتباب النظام، فقوة الدولة والنظام مصلحة لجميع المسلمين، ورأسهم المهاجرون والأنصار الذين أسسوها مع الرسول ﷺ.

كما كان واضحًا حرص أبي بكر على الإنصات للأنصار، وكذلك ثناؤه عليهم حين خطب فيهم، وقد اقترح أحد الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، فرفض ذلك عمر ﷺ.[(٢)]

وقد وردت رواية أخرى أنه: ((لما كان ذلك اليوم، خرج أبو بكر وعمر حتى أتيا الأنصار، فقال أبو بكر: "يا معشر الأنصار إنا لا ننكر حقكم ولا ينكر حقكم

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩١.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٨٩، ٤٩٠؛
ابن ابي شيبة، المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص٤٢٤.

مؤمن، وإنا والله ما أصبنا خيرًا إلا ما شاركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العرب ولا تقر إلا على رجل من قريش، لأنهم أفصح الناس ألسنة، وأحسن الناس وجوهًا، وأوسط العرب دارًا، وأكثر الناس سجية في العرب، فهلم إلى عمر فبايعوه"، قال: فقالوا لا، فقال عمر: لم؟ فقالوا نخاف الأثرة، قال عمر: أما ما عشت فلا، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضل مني، فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر، قال: وأتى الناس عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة ابن الجراح، فقال: أتأتونني وفيكم ثالث ثلاثة، قال ابن عون: فقلت لمحمد: من ثالث ثلاثة؟ قال: قول الله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة من الآية ٤٠])).[1]

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص٤٢٨، ٤٢٩؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

لقد كان من الطبيعي تبادل وجهات النظر والاختلاف فيها أحيانًا والمناقشة والسماع للآراء المختلفة. وهذا بالطبع يؤكد على أن هذا الاجتماع تم دون أي ترتيب أو تنسيق مسبق، إنما انطلق الجميع من المصلحة العامة والبحث عن الحق بعفوية ونية صادقة.

ولذلك كان رأي عمر ﷺ منطلقًا من ناحية شرعية، حيث قال: ((يا معشر الأنصار: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر))[(١)].

وقد قام خطيب من الأنصار فقال: تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره.[(٢)] وبادر أحد الأنصار وبايع قبل عمر بن

(١) من رواية ابن أبي شيبه، المغازي، ص٤٢٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/١٧٨.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٩٠.

الخطاب،[(١)] ثم تتابع الحضور في سقيفة بني ساعدة على بيعة أبي بكر في غير رغبة منه، وكل الحضور كانوا من الأنصار عدا أبا عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب ﷺ. وكانت هذه البيعة الخاصة بيعة سقيفة بني ساعدة خاصة بمن حضرها، ولم يعتب على من غاب عنها، وكانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ.

ولا شك أن هؤلاء المبايعين لو كان عندهم أدنى خبر في وصية عن رسول الله ﷺ في الولاية من بعده لأبي بكر لما ناقش المجتمعون، ولبايعوا مباشرة دون مبادلة للآراء والأدلة، كما لو كان هناك وصية لعلي ﷺ لما خفيت عليهم ﷺ، ولما تجاهلوها فهم خير من يفهم، هم تلاميذ محمد ﷺ تربيته وأصحابه حملوا السلاح والأرواح معه:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].[(٢)] فكيف

(١) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص٤٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيرة، ج١٤٨٧/٢.

يتجاهلون الوصية بهذه البساطة، كما أن عليًا لم يذكر الوصية أو يطالب بشيء من ذلك، وهو أشجع الناس ﷺ. فحاشا لله أن يخاف في الله لومة لائم.

هذه البيعة المهمة لم تكن كافية، فكانت هناك حاجة إلى بيعة العامة، كان من الغد وهو يوم الثلاثاء بعد صلاة الفجر، البيعة العامة لأبي بكر الصديق بعد الصلاة، وهي بمثابة المناسبة العامة للتنصيب، بعد أن تمّ اختياره وانتخابه من كثرة الأنصار وعدد محدد من المهاجرين من أهل الحل والعقد، اختاروه وبايعوه؛ لما يرون من استخلاف رسول الله ﷺ له بالصلاة بالناس، قبل تقديمه لعامة الناس. وقد قام عمر فتكلم في الناس.

روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في

كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهد إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا. وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة))[1].

كانت هذه المبايعة من عامة الناس كل من حضر، ولم يرد وجود أي اعتراض على هذه البيعة، لا من علي رضي الله عنه ولا من غير من آل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ فقد كانوا أكثر من غيرهم فرحًا ببيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أجمعين، وكانوا مساعديه الأولين في شؤون الخلافة عامة وفي مقاومة المرتدين خاصة.

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/١٨٢؛ الطبري، تاريخه، ج٢/٢٣٥.

كانت بداية عهده بالتواضع، وإعلان أنه لا يزكي نفسه، وأنه ليس خيرهم، وكان ﷺ خيرهم فيما نعلم، لكنه خلق الإسلام التواضع والثناء على الله وليس مدح النفس.

كما أكدّ ﷺ قضية العدل والمساواة، وأن الجميع أمام نظر الشريعة والدولة ومؤسساتها سيأخذون حقوقهم بإنصاف تام، كما أكدّ عليهم مبدأ الجهاد والأخذ بالقوة، وأنه منهج الرسول ﷺ وأحد أسباب القوة وهيبة المسلمين.

كما حذر ﷺ من الفاحشة وضررها والمجاهرة بها، وأنها من أسباب الأمراض المتجددة في الأمة، وليته يرى حال البشرية اليوم وأمراضها الناتجة عن الفاحشة وعلى رأسها الأمراض الاجتماعية، ليضع سياسة مقاومة الفاحشة، والوقوف في وجه من يحب أن تشيع بين الأمة.

كما بينّ ﷺ أنه يسير وفق شرع الله وسنة رسوله وأن طاعته واجبة في حدود اتباعه لهذا المنهج، وأن طاعته لا تجب في غير ذلك، بل إن طاعته لا تلزم إذا خالف ذلك.

إن هذه الخطبة التي تمثل خطة عمل وسياسة مستقبلية تحتاج إلى مزيد دراسة وتحليل من الباحثين. لإبراز ما فيها من القيم والمعاني والسياسة والخطط الداخلية والخارجية للخلافة والنظام الذي يسيره.[1]

أسباب اختيار أبي بكر الصديق ﷺ:

لا شك أن الصديق ﷺ هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأكثر الناس التصاقًا برسول الله ﷺ، وهو صاحبه في الهجرة من بين سائر الأمة. وقد أشار الصحابة إلى ما ورد من ذلك القرآن الكريم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ

(١) من أفضل من حلل الخطبة التي قالها الصديق، د. محمد الصلابي، سيرة أبي بكر الصديق، ص١٦٨ ـ ١٧٨.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة]).[1]

وقد كان ﷺ يعتمد على الصديق أكثر من غيره في مرضه الذي مات فيه وقبله. ومع أن الرسول ﷺ لم يوصِ مباشرة لأبي بكر الصديق، إلا أن هناك بعض الأحداث التي اعتبرت مؤشراتٍ واضحةً في تفضيل بيعة الصديق رضي الله عنه، وإن كانت لم تكن وصية؛ حيث إنه ﷺ ترك الأمر شورى بين المسلمين، ليكون منهجًا مستمرًا للأمة تأخذ به، ويكون التشاور مبدءًا أخلاقيًا سياسيًا، ونظامًا تسير عليه إن أرادت الحق والسعادة.

ومن تلك مؤشرات استخلاف أبي بكر رضي الله عنه:

- أنه ﷺ أمر بالاقتداء به وأشار إلى أنهما من بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: إني ما

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٢٨ ــ ٤٢٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٣.

أدري قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود بشيء فصدقوه)).[(١)]

- أن الرسول ﷺ أمر أن يصلي أبو بكر بالناس حين مرضه الذي مات فيه، بعد عجزه عن الخروج للصلاة بالناس. فصلى بهم سبع عشرة صلاة.[(٢)]

وكانت مراجعة عائشة ﷺ لرسول الله ﷺ خشية على أبيها، وقد عللت ذلك في رواية ابن هشام قالت: ((يا نبي الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال مروه فليصل بالناس، قالت: فعدت بمثل قولي، فقال إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت الناس لا يحبون

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٢٧ ـ ٤٢٨، رواية رقم: ٥١٦.
(٢) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/٦٤.

رجلاً قام مقامه أبدًا، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر)).[(١)]

كان واضحًا ثناء الرسول ﷺ على أبي بكر في آخر خطبة خطبها الرسول ﷺ حيث أمر بسد الأبواب التي تفتح على مسجده عدا باب أبي بكر رضي الله عنه.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلاً

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٢؛ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس ...، ج٢/٢٢.

غير ربي لاتخذت أبا بكر،[١] ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سُد إلا باب أبي بكر)).[٢]

كما كان من المبررات الواضحة ـ كما نقل ابن عباس ﷺ ـ قول عمر بن الخطاب ﷺ: ((يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السبّاق المُسن)).[٣]

وعند وفاة الرسول ﷺ وقبلها كان الناس في حياة الرسول ﷺ يسألون ويناقشون عن أفضل الأمة بعد رسول

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩١؛ وانظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٧/١٠٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: ((سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر))، ج٤/١٩٠.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٩٣؛ وقد نقل ابن أبي شيبة القول عن أبي عبيدة، في المغازي، ص٤٢٩.

الله ﷺ فيذكرون الصديق رضي الله عنه أولهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان)).(١)

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قولها: لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبدالرحمن بن أبي بكر: ((إءتني بكتف ولوح حتى أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه. فلما ذهب عبدالرحمن ليقوم قال: أبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك، يا أبا بكر)).(٢)

ومن المعروف أن الصديق رضي الله عنه كان كارهًا للخلافة، فقد روى رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل قال: ((وسألته عما قبل بيعتهم، فقال: وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار، وما كلم به عمر بن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ج٤/١٩١.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٤٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج٧/١١٠.

الخطاب الأنصار، وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة)).[١]

كما كانت هناك بعض الرؤى فسرها الرسول ﷺ بولاية أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده. روى البخاري أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((إن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا على بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذ عمر بن الخطاب من أبي بكر، فاستحالت في يده غربًا فلم أر عبقريًا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن، قال وهب: العطن مبرك الإبل، يقول: حتى رويت الإبل فأناخت)).[٢] وقد ورد: ((أن امرأة أتت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٩٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٧.

جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت. قال عليه السلام: إن لم تجديني فأتي أبا بكر)).[(١)]

وعلينا أن نذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان من أكثر الناس ثناء على أبي بكر وعلى علمه رضي الله عنه ـ كما مرَّ بنا ـ.

وقد أثنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخلافته، وكذلك خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وشهادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنفسه رد مباشر على من حاول القدح في الصديق رضي الله عنه أو الزعم بأن لعلي رضي الله عنه وصية تجاهلها أبو بكر رضي الله عنه. عن عبد بن خير قال: ((سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير ما قُبِضَ عليه نبي من الأنبياء، قال: ثم أستُخلف أبو بكر فعمل لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنته، ثم قُبِضَ أبو بكر على خير ما قُبِضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩١.

بعد نبيها ﷺ ثم أستُخلف عمر، فعمل بعملهما وسنتهما، ثم قُبِضَ على خير ما قُبِضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وبعد أبي بكر)).[(١)]

كما ورد عن محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي بن أبي طالب ﷺ قال: ((قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين)).[(٢)]

ولا شك أن الروايات في فضائل أبي بكر من أقوال علي ﷺ تؤيد الروايات التي ذكرت بيعة علي ﷺ والعباس وغيرهم من آل البيت لأبي بكر الصديق ﷺ في البيعة العامة، بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة في مسجده

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، تحقيق عبدالعزيز العُمري، ص٤٣٠، رواية رقم: ٥٢٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٥.

صباح الثلاثاء التالي لوفاته ﷺ.[١]

ومن الثابت أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القصة في حرب المرتدين.[٢]

لقد كان واضحًا ترك الرسول ﷺ الأمة دون تحديد أمير، وأنه ﷺ وضع قواعد يتم اتباعها في الشورى والاختيار من أهل الحل والعقد.[٣] وقد علمت الأمة هذا الأمر وأصبح قاعدة اتبعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: ((أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟

---

(١) انظر: ابن كثير؛ السيرة النبوية، ج٤/٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٩٥.

(٣) تحدثت كتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية بتفصيلات كثيرة عن قضايا البيعة، ومنها: ابن تيمية في السياسة الشرعية؛ وابن القيم في الطرق الحكيمة؛ والماوردي في الأحكام السلطانية؛ وأبي يعلي الفراء في الأحكام السلطانية، وغيرهم.

فقال إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ـ أبا بكر ـ وإن أ ترك فقد ترك من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ. قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف)).[(١)]

كما ورد عن علي ﷺ أنه قال بعد أن طُلب منه أن يستخلف: ((ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم)).[(٢)]

ويؤكد ابن كثير أن علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ﷺ قد بايعا الصديق في اليوم الأول مع المسلمين، ولم يتخلفا عن بقية المسلمين. ويستدل بذلك على شهود علي ﷺ الصلاة مع أبي بكر الصديق منذ وفاة الرسول

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه، ج٦/٤ ـ ٥؛ وانظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٨٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٣٣٥.

(٢) انظر: تخريجه عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٣.

ﷺ، بل وقبل ذلك لم ينقطع عن الصلاة خلف الصديق على الإطلاق.

من حديث محمَّد بن سيرين قال: ((ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما، قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر، خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله ﷺ، فقال: "يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟"))[(١)].

وعند بيعة الصديق كانت الخلافة الإسلامية قد امتدت أيام الرسول ﷺ إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية، ووصلت أطراف الشام، واحتكت جيوشها بالروم في مؤتة، وأعدّ ﷺ جيشًا بقيادة أسامة بن زيد لغزو بلاد

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٦/٣، وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال: صحيح مرسل؛ والحافظ في الفتح، ج٢٣٧/٧.

الروم.[١] ومع هذا فقد حدثت الردة في أنحاء كثيرة من الخلافة والقبائل قبيل وفاته ﷺ واضطربت الخلافة الإسلامية في معظم أجزائها، وأصابها شيء من التفكك نتيجة ظهور الردة على يد الكذابين المتنبئين، ومنهم مسيلمة الكذاب، الذي سيطر على بني حنيفة في اليمامة وما جاورها، حيث كون منهم قوة تهدد المسلمين في المدينة. ومنهم [الأسود العنسي الكذاب] في اليمن. وقد زادت خطورة هذه الحركة بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ظهر متنبؤون آخرون أمثال: [طلحة بن خويلد الأسدي] في قبائل نجد [وسجاج بنت الحارث التميمية]. ويضاف إلى أولئك بعض القبائل التي رفضت دفع الزكاة، وبذلك عطلت أحد أركان الإسلام.[٢]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة ابن زيد ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، ج٥/١٤٥.

(١) لمزيد من التوسع حول هذا الموضوع راجع: الكلاعي الاندلسي: حروب الردة من ص٤٠ إلى ١٦٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٢٧.

وقد انشغل أبو بكر الصديق ﷺ في بداية خلافته بأمر أولئك المرتدين.

وزاد الأمر سوءًا ارتداد مانعي الزكاة، وهم فئة كبيرة من قبائل العرب.

وحدثت ردّة في عمان بعد وفاة الرسول ﷺ تمكن أبو بكر الصديق ﷺ بمساعدة جيفر وعباد ملكي عُمَان من التصدي لها، بعد معارك متعددة قادها حذيفة بن محصن وعكرمة بن أبي جهل في نواحي دُبا.(١) وقابل عدد من أهل عُمان أبا بكر الصديق ﷺ في بداية خلافته مؤيدين ثابتين على الإسلام، فأثني عليهم وعلى ثباتهم رغم اضطراب الأحوال بعد وفاة الرسول ﷺ.(٢) وكان لقبائلها دور مهم في الفتوح الإسلامية في عصر الراشدين وخصوصًا في العراق وفارس.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص٩٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٧؛ ودُبا: مدينة عُمانية بها سوق من أسواق العرب المشهورة في العصر الجاهلي؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/٤٣٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٢، ٢٦٣.

حملة أسامة بن زيد ﷺ:

هي أول جيوش الفتح خارج جزيرة العرب، حيث كان الرسول ﷺ قد أعد جيشًا قبيل وفاته بقيادة [أسامة بن زيد] ﷺ ليوجهه إلى الروم في نواحي بلاد الشام. فطعن الناس في إمارته فرد الرسول ﷺ: ((إن كنتم تطعنون في إمارته، فقد كنتم تطعنون في أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقًا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده)).[(١)] ثم مرض ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى قبل تسييره لذلك الجيش.

ولما بويع أبو بكر ﷺ بالخلافة،[(٢)] عزم على بعث جيش أسامة إلى الروم، فحاول بعض الصحابة أن يثنيه عن هذا الأمر أو يؤخره لبعض الوقت؛ نظرًا لوجود أخطار

---

(١) رواه البخاري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ٢٨٧/١٦؛ وانظر: الطبري، تاريخه، ج١٨٨/٣.

(٢) انظر تفاصيل بيعة أبو بكر في: الطبري، تاريخه، ج٢٠٧/٣؛ المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج٢٣١/١ ـ ٢٥٢.

مختلفة ومتوقَّعة على المسلمين من الروم ومن نصارى العرب في الشام، ومن المرتدين الذين كانوا ما يزالون أقوياء في تلك الفترة. إلا أن الصديق ﷺ أصر على بعث ذلك الجيش قائلاً: ((والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ)). وفي رواية: ((والذي نفسي بيده لأن تميل على العرب أحب إليَّ من أن أحبس جيشًا بعثهم رسول الله ﷺ))[1].

واستعد الجيش للخروج ورافقه أبو بكر ﷺ وبعض الصحابة بداية الطريق مودعين ومشيعين. وقبل أن يودع أبو بكر جيش أسامة أوصاهم ببعض الوصايا مما تعلمه الصديق ﷺ من قواعد الحرب والجهاد في الإسلام قائلاً لهم: ((أيها الناس لاتخونوا، ولاتغلوا، ولاتغدروا، ولاتثملوا، ولاتقتلوا طفلاً صغيرًا، ولاشيخًا كبيرًا، ولا امراة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام عهد الراشدين، ص٢٠.

مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، ...))[1].

وقد سار هذا الجيش يحمل تلك التعليمات، ووصل إلى أطراف الشام، وأغار على بعض قبائل نصارى العرب التي ساعدت الروم في غزوة مؤته، وأدبها، ثم عاد إلى المدينة بعد شهرين. وكان لخروج هذا الجيش أثر عظيم في دفع المرتدين عن المدينة، وفي بدء الجهاد ضد الروم وأتباعهم من نصارى العرب، حتى أن هرقل نفسه ملك الروم قال: (ما بالُ هؤلاء بموت صاحبهم أن غاروا على أرضنا)[2].

* * * * *

(١) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص٣٠٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٤/ ٦٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٥٠٣.

حروبه ﷺ للردة:

خاض المسلمون في خلافة الصديق ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ العديد من المعارك ضد الكفرة من المرتدين في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، حيث بلغت الجيوش التي تحركت لهذه المهمة أحد عشر جيشًا جابت الجزيرة العربية طولاً وعرضًا، وقامت بالجهاد وتنفيذ ما أوكل إليها من مهام دون تقصير.

معركة اليمامة:

كانت ردة مسيلمة ومن معه من بني حنيفة أواخر عهد النبي ﷺ، وادعى النبوة، وأصبح يسجع للناس كلامًا هراءً لا فائدة فيه، يزعم أنه قرآن وفتن الناس به، واتبعوه عصبية له، حتى كان بعضهم يقول: (كذابُ ربيعة خيرٌ من صادقِ مُضَر)،[1] حيث زعم أنه أُشرك في الأمر معه، وكتب إلى رسول الله ﷺ كتابًا جاء فيه: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٦.

عليك، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشًا قوم يعتدون).[١] فرد عليه الرسول ﷺ ومما جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)).[٢]

اشتدت الرِدّة، وأعدّ مسيلمة جيوشًا لقتال المسلمين والهجوم على المدينة، وكان بنو حنيفة في اليمامة أتباع مسيلمة الكذاب أخطر المرتدين على المسلمين في المدينة، حيث كان لديهم جيش يزيد على أربعين ألف مقاتل، كما كان فيهم عصبية قوية دفعتهم للتجمع حول مسيلمة وإظهار الاستعداد لقتال المسلمين، بل مهاجمة المدينة نفسها لسهولة الوصول إليها، ولذلك

---

(١) انظر تخريجه عند: محمد حميد الله، الوثائق السياسية؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٧٣.

(٢) انظر تخريجه تحت رقم: ٢٠٦، عند: محمد حميد الله، الوثائق السياسية.

كان من أوائل الجيوش المرسلة إليهم جيش يقوده [عكرمة بن أبي جهل] ﷺ، فلم يلق نجاحًا في مواجهته الأولى مع [مسيلمة]، ولذلك صرفه أبو بكر الصديق ﷺ إلى منطقة أخرى، وكان قد وجه [شرحبيل بن حسنة] ﷺ مددًا لعكرمة فأمره بالتريث في طريقه إلى اليمامة ووجه [أبو بكر] ﷺ [خالد بن الوليد] ﷺ، وأمر [شرحبيلاً] بالانضمام إلى [خالد بن الوليد]،[1] واقترب الجيش من اليمامة، وعماده المهاجرون وعليهم [أبو حذيفة] و[زيد بن الخطاب] ﷺ ويحمل رايتهم [سالم] مولى أبي حذيفة ﷺ، والأنصار وعليهم [ثابت بن قيس بن الشماس] ﷺ. ولما قرب جند المسلمين علم بهم [مسيلمة] فخرج بجنده إلى (عقرباء) وعسكر بهم. وتمكن المسلمون من الوقيعة بإحدى سرايا [مسيلمة] وتقدر ما بين الأربعين إلى الستين رجلاً. ثم وقع اللقاء مع مسيلمة وقواته. وكان من أوائل القتلى رجل يسمى [الرجال بن

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٣.

عنفوة]، كان قد أظهر الإسلام والتقى بالنبي ﷺ ثم ارتد وتبع مسيلمة، وزعم الرجال أن مسيلمة قد أُشرك مع النبي ﷺ في الرسالة، فكان أشد فتنة لبني حنيفة من مسيلمة نفسه.(١)

واشتد القتال واجتهد فيه بنو حنيفة، وتمكنوا من فك بعض أسراهم في السرية الأولى. واهتزت صفوف المسلمين، وكادت أن تقع بهم الهزيمة، ثم تداعى المسلمون للثبات، وقاتلوا ببسالة. وكان من هؤلاء ثابت ابن قيس بن الشماس ﷺ حامل لواء الأنصار الذي قال: بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، يعني أهل اليمامة، وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قتل، وقال أبو حذيفة ﷺ: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال.(٢) واشتد القتال وكان في أوله في صالح بني

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٠٦؛ تاريخ الإسلام وعصر الراشدين، ص٤٠.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٨.

حنيفة، ثم أصبح سجالاً، ثم أمر خالد بن الوليد ﷺ الناس بأن يمتازوا وتكون كل فئة وقوم وحدهم حتى يُرى من أين يؤتى الناس، وكان القتال شديدًا، وكان أكثر الناس تحملاً من المسلمين أهل القرآن من المهاجرين والأنصار، أكثر قتلى المسلمين منهم، وشعار المسلمين يوم ذاك: يا محمداه، حيث إنهم حديثو عهد بوفاته ﷺ. وثبت مسيلمة في أول الأمر ثم انهزم عنه قومه. وقد دعا [خالد] ﷺ [مسيلمة الكذاب]، فعرض عليه أشياء رفضها مسيلمة، وأصر على مواصلة القتال، فقاتله خالد بنفسه حتى أزاله، فهرب وهرب معه أصحابه، فركبهم المسلمون وأخذوا يقتلون فيهم، ولاحت بشائر النصر للمسلمين، فقال أصحاب مسيلمة له أين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم، وتنادوا الحديقة! الحديقة! ليلجأوا إلى حديقة لمسيلمة مسورة ومحصنة، والتجأ مسيلمة ومعه سبعة آلاف من قوات بني حنيفة إلى تلك الحديقة، وأغلقوا على أنفسهم وتحصنوا، فلحق بهم شجعان المسلمين ومعهم [البراء بن مالك] أخو خادم رسول

الله ﷺ أنس بن مالك ﷺ، وكان كالأسد في شجاعته، فلما رأى المسلمين حائرين في الأسوار، أقسم عليهم البراء أن يحملوه ويلقوه على السور ليحاول فتح الأبواب للمسلمين، وامتنع المجاهدون عن ذلك خوفًا عليه من أن يقتحم عليهم وحيدًا، فلما رأوا إصراره ألقوه على السور، فقاتل حتى تمكن من فتح الأبواب للمسلمين. ودخل عليهم المسلمون الحديقة واشتد القتل في الفريقين، وتمكن المسلمون من قتل مسيلمة الكذاب، وقد اشترك في قتله أحد الأنصار مع وحشي ﷺ قاتل حمزة بن عبدالمطلب ﷺ.

ولما علم بنو حنيفة بمقتله انهزموا وأخذتهم سيوف المسلمين. ثم إن أحد أسرى [خالد] ﷺ من زعماء بني حنيفة طلب أن يصالح خالدًا عن بني حنيفة، وخدعه بأن بقية الحصون ملأى بالرجال، وأن لهم كَرَّة على المسلمين، وكانت نساء بني حنيفة قد لبسن السلاح، وأخذن يظهرن أنفسهن من على الحصون، فظن المسلمون أن لجيوش بني حنيفة بقية، فصالح ذلك الزعيم خالدًا عن قومه بوقف الحرب بشروط، ثم اكتشف المسلمون

أنه ليس في الحصون إلا النساء والضعفاء، فوفوا لهم. وجاء أمر من أبي بكر الصديق ﷺ بقتل كل محتلم من القوم، ولكنه بعد أن علم بهذا الصلح أمضاه.

ردة البحرين:

كانت البحرين جزءًا من الخلافة الإسلامية في أواخر العصر النبوي، فبعث الرسول ﷺ إليها مجموعة من الولاة؛ نظرًا لكثرة القرى فيها، وكان أشهر ولاة البحرين خلال العصر النبوي [العلاء بن الحضرمي] ﷺ،[(١)] وقد بعث معه الرسول ﷺ بعض الصحابة، منهم أبو هريرة ﷺ. ودارت بينه وبين الرسول ﷺ العديد من المراسلات. كان المسلمون من أهلها يدفعون الزكاة والبعض الآخر من النصارى والمجوس يدفعون الجزية.[(٢)]

وكان الرسول ﷺ يبعث بعض أصحابه إلى العلاء ليحضر الجزية المفروضة على المجوس في البحرين إلى

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٦٢.
(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٣٤٨.

المدينة المنورة،[(١)] وكان من هؤلاء المبعوثين [أبو عبيدة بن الجراح] ﷺ واستمر العلاء واليًا للبحرين أيام الرسول ﷺ. والراجح أن الرسول توفي والعلاء على البحرين. وقد أقره أبو بكر على ولايته بعد وفاة الرسول ﷺ، كما أقره عمر بعد وفاة أبي بكر ﷺ.[(٢)]

كان للعلاء بن الحضرمي دور كبير في جهاد المرتدين في البحرين، حيث ارتدت معظم قبائل البحرين بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد استطاع العلاء بتوجيه من أبي بكر الصديق ﷺ أن يقضي على الردة، ويعيد البحرين إلى صف الإسلام مرة أخرى. وبعد هذا الفتح وجه العلاء بخمس الغنائم إلى أبي بكر الصديق ﷺ.

كانت البحرين تنعم بالاستقرار بقية أيام أبي بكر ﷺ تحت ولاية العلاء بن الحضرمي، الذي جرت بينه وبين أبي بكر ﷺ العديد من المراسلات التي تتعلق

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، قصة عُمان والبحرين، ج٥/١٢١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٣.

بشؤون ولاية البحرين.[١]

ردة اليمن:

قدم على رسول الله ﷺ في المدينة في أواخر حياته العديد من الوفود من بلدان اليمن وقبائلها،[٢] كما كان للأبناء باذان وغيره من أمراء الفرس في اليمن دور كبير في الوقوف مع أمراء الرسول ﷺ ومنهم معاذ بن جبل وغيره رضي الله عنهم أثناء ولايتهم اليمن للرسول ﷺ.

في خلافة الصديق رضي الله عنه وبمتابعة منه تعاون الأمراء مع الأبناء من الفرس في القضاء على ردة الأسود العنسي الكذاب مدعي النبوة، وإعادة الإسلام إلى اليمن بعد ردة الكثيرين من القبائل حتى قتل مدعي النبوة الأسود العنسي الكذاب.[٣]

---

(١) عبدالعزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص٥٣ ـ ٥٥؛ وانظر: بعض تلك المراسلات عند محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٣٤٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٢/٦٥٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤.

ردة عُمان:

حيث قدم رهط من عُمان على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة فأسلموا وبايعوا على قومهم، وكتب لهم كتابًا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شماس.[(١)]

ويظهر أنه الكتاب الوارد "كتاب من محمدٍ رسول الله لبادية الأسياف ونازِلة الأجواف[(٢)] مما حاذت صُحار. ليس عليهم في النخل خراص، ولا مكيال مُطبق حتى يوضع في الفَداء. وعليهم في كل عشرة أوساق وسق. وكاتب الصحيفة: ثابت بن قيس بن شَمّاس. شهد سعد ابن عُبادة، ومحمد بن مسلَمة".[(٣)]

فلما أسلموا ... بعث عليهم ﷺ مصدّقًا منهم يقال له: حُذَيفة بن اليمان الأزدي من أهل دبا. وكتب له فرائض

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/ ٣٥٣.

(٢) كذا في الأصل والراجح لنازلة الأسياف وبادية الأجواف.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٣٥٣؛
انظر نص الكتاب ومصادره عند: محمد حميد الله، ص١٦٢، وقد أشار إلى مصادر الرواية وأجزائها وهي عديدة.

الصدقات. ولم يرو نص الكتاب. فكان يأخذ صدقات أموالهم، ويردّ على فقرائهم. فلما تُوفي رسول الله ﷺ ارتدّوا، ومنعوا الصدقة. ودعاهم حذيفة إلى التوبة فأبوا وأسمعوه شتم النبي ﷺ... وجعلوا يرتجزون ... فكتب حذيفة إلى أبي بكر بذلك.[(١)] فَوَجّه أبو بكر عكرمةَ بن أبي جهل، وكان مقيمًا بتَبالة، فجاءه كتاب أبي بكر رضي الله عنه، وكان أول بعثٍ بعثه إلى أهل الردة، أن سِرْ فيمن قِبلك من المسلمين إلى أهل دبا.

وكان ﷺ بعث عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان عباد وجيفر ابني الجلندى فأسلما وقبلا، ووقفا مع عمرو بن العاص ضد المرتدين من أزد عُمان، ضمن أعمال الصديق في القضاء على الردة.[(٢)]

وما أن انتهت السنة الحادية عَشْرَة من الهجرة حتى

---

(١) انظر: الحديث عن روايات الكتاب ومصادره عند محمد حميد الله، ص١٦٢.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٨.

كان الصديق رضي الله عنه قد فرغ من القضاء على المرتدين بشقيهم، أتباع مدَّعي النبوّة ومانعي الزكاة.

* * * * *

جمعه ﷺ للقرآن في المصحف:

كان الصحابة ﷺ يحفظون القرآن في صدورهم، وقد جمع بعضهم كامل القرآن حفظًا في حياة النبي ﷺ. روى أنس بن مالك ﷺ أنه قال: ((جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد))،[(١)] وقول أنس لا يعني أن هؤلاء الأربعة هم الذين حفظوا القرآن في عهد النبي ﷺ دون سواهم. يقول القرطبي: (قد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان، وعلي، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعبدالله بن عمرو بن العاص).[(٢)]

وكان بعض الصحابة يكتب بين يدي النبي ﷺ بعضًا من القرآن، منذ العهد المكي. وفي قصة إسلام عمر بن

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ج٦/١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، باب جمع القرآن، فصل وقد طعن الرافضة ـ قبحهم الله تعالى ـ في القرآن ...، ج١/٩٣.

الخطاب ما يؤيد ذلك، فحين ذهب إلى بيت أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد ليبطش بهما لمّا بلغه إسلامهما سمع عندهما قرآنا يتلى، فلما ضرب أخته وشجها ندم على ما فعل، وطلب إليها أن تعطيه الصحيفة التي كانا يقرآن فيها فإذا بها سورة "طه".

كانوا يكتبون القرآن في جريد النخل وأكتاف الإبل والرقاع. ولم يجمع القرآن في حياة النبي ﷺ بين دفتي مصحف. عن مشورة من عمر بن الخطاب ﷺ، وأن الذي قام بهذا الجمع زيد بن ثابت ﷺ، فقد روى البخاري في "صحيحه" عن زيد ﷺ أنه قال: ((أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ ـ أي اشتد وكثر ـ يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا إن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا

يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتَتَبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النبي ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسب وصدور الرجال وكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر)).(١)

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم))، ج٥/٢١٠ ـ ٢١١؛
وانظر: ابن حجر، فتح الباري، باب جمع القرآن، ج٩/٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين) ص٧٩؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ج١/١٦٢؛
صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦/٩٨، ٩٩؛ جمال القراء، ج١/٨٦؛ وانظر: تخريجه مستوفىً في كتاب المصاحف لابن أبي داود، ج١/١٦٩ ـ ١٧٩.

والمصحف قبل جمع أبي بكر ربما جمع شيئًا منه بعض الصحابة بأعمال فردية، لم تظفر بما ظفر به مصحف الصديق (الإمام) من دقة البحث والتحري والإجماع من الصحابة، إلى غير ذلك من المزايا التي كانت لمصحف الصديق رضي الله عنه. والذي استنسخ منه عثمان رضي الله عنه بعد ذلك المصاحف، ووحد المسلمين عليها في كافة الأمصار رضي الله عنه.[1]

* * * * *

(١) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٩٩٧؛ اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٧٠.

الفتوح في خلافة الصديق ﷺ:

وكان الصديقُ ﷺ صاحبَ رسولِ الله ﷺ وتلميذَه، يدرك البعدالإنساني العالمي للإسلام ودعوته للبشرية جمعاء ورحمته بالعباد، ومع شدة الظروف التي شهدها المسلمون وكثرة الشهداء والجرحى في معارك الردة، فإن الصديق أطلق موجة الفتوح الإسلامية بشكل لم تعرف له البشرية مثيلاً؛ لتحقيق ما وعد الله ورسوله من نصرةٍ وتمكين لدين الله بين عباد الله.

وقد بدأ المسلمون فتوحهم في بلاد فارس والروم في وقت واحد وكانت أهداف المسلمين واضحة، وإيمانهم بوعد رسول الله ﷺ بفتح فارس والروم وإسقاط مُلكهما وإعادة الحق إلى عباد الله وتحريرهم من عبودية البشر معروفة لدى المسلمين.

والأغرب أنه ﷺ بدأ الجهاد ضد هاتين الدولتين فاتحًا في وقت واحد، رغم أن الجيوش الإسلامية خرجت للتو

من حروبها مع المرتدين، ومع ذلك فقد انطلقت في موجة عظيمة من الفتوح لم يشهد لها تاريخ البشرية مثيلاً.

فتح فارس والعراق:

قد كانت دولة الفرس قوية مترامية الأطراف تمتد حدودها غربًا من الأطراف الشرقية لبلاد الشام إلى بلاد الأفغان في الشرق، ومن بحر الخزر (قزوين) في الشمال إلى بلاد السند في الجنوب، وتشمل العراق وفارس وخراسان وطبرستان وأذربيجان وغيرها من المناطق.

وقد كانت هذه الدولة تتمتع بقوات عسكرية كبيرة ومنظمة، يصعب التحرش بها أو معاندتها. وكانت تخوض بها المعارك الكبرى ضد الروم، وتنتصر عليها في كثير من الأحيان،[1] مما أكسبها خبرة عسكرية قوية. ومع ذلك فقد استهان بها المسلمون أمام موعود الله لهم بالنصر أو الشهادة: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى

(١) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الأول، علم السيرة النبوية ـ العالم والمصطفى والوحي.

ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

[التوبة] وقد بدأت حركة الفتح الجهادية في فارس على يد القائد المسلم [المثنى بن حارثة الشيباني] ﷺ الذي طلب من أبي بكر الصديق ﷺ أن يأذن له بمحاربة الفرس، والإغارة عليهم بمن معه من مسلمي بني قومه لقربهم منهم، وبالفعل بدأ المثني ﷺ يغير على أطراف العراق الجنوبية، وتمكن من إحراز الانتصارات العديدة على الفرس وأتباعهم من نصارى العرب، رغم قلة جيشه من المسلمين، وكثرة جيش الأعداء.(١) وأمام الظروف العسكرية المتغيرة كتب المثنى إلى أبي بكر الصديق ﷺ يطلب منه المدد، وكان خالد بن الوليد ﷺ قد انتهى للتو من حرب مسيلمة الكذاب في اليمامة، فكتب إليه أبو بكر الصديق ﷺ آمرًا إياه بالتوجه بمن معه من الجند إلى العراق لدعم المثنى بن حارثة ﷺ ومساندته،

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٥٣، ٥٤؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٢.

فتوجه إلى العراق سنة ١٢هـ.[١] كما حرك أبو بكر الصديق ﷺ جيشًا آخر بقيادة [عياض بن غنم الفهري] ﷺ، وأمره أن يدخل العراق من أعلاه وأمر كلاً من [خالد] و[عياض] أن يتجها إلى الحيرة عاصمة مملكة العرب المناذرة ومن سبق إليها منهما كانت له الإمرة على صاحبه.[٢]

وقد دخل خالد العراق من الجنوب وبدأ يخضع القرى المجاورة للفرات، فاستسلمت له (أليس) و(بارسوما) و(بانقيا)،[٣] وغيرها من القرى، وقد كان خالد يخط لفتح (الأبلة) وهي أقوى المراكز الفارسية في جنوب العراق وميناؤه المؤدي إلى الهند[٤] حتى أنها كانت تسمى

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٧؛ الأزدي، فتوح الشام، ص٥٤؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٢؛ الطبري، تاريخه، ج٢/٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٣.

(٣) بلدة من نواحي الكوفة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣٣/١).

(٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٧، ١١٨؛ الأزدي، فتوح الشام، ص٥٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٧٧، ٧٨.

بأسمه (ثغر الهند). وقبل أن يتقدم خالد ﷺ إلى الأبلة كتب إلى قائدها، يدعوه إلى الإسلام أو دفع الجزية، وهدده إن أعرض عن ذلك قائلاً: ((وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)).[(١)] وأستعد المسلمون للقاء الفرس واستعد الفرس بالمقابل فيما عرف بـ:

موقعة ذات السلاسل (سنة ١٢هـ):

وهي إحدى أهم المعارك التي دارت بين المسلمين والفرس في بداية الفتوح في فارس في خلافة الصديق، وموقعها بالقرب من مدينة الأُبلة، وقاد المسلمين فيها خالد بن الوليد ﷺ، وقاد الفرس هرمز صاحب الأبلة وسميت بهذا الأسم؛ لأن الفرس قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لايفروا،[(٢)] وليثبتوا لقائدهم أنهم صامدون حتى الموت، وفي بدايةالمعركة وقعت مبارزة

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٥.

(٢) الازدي، فتوح الشام، ص٥٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٢؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٥.

فردية بين خالد بن الوليد وبين قائد الفرس حاول خلالها مجموعة من جنودالفرس مباغتة خالد بن الوليد ﷺ على انفراد، لكن المسلمين تنبهوا للأمر، وتعاونوا في الدفاع عن خالد، وتمكن خالد ﷺ بنفسه من قتل قائد الفرس وحمل المسلمون على الفرس حتى هزموهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وفر جيش الفرس، وغنم المسلمون في تلك المعركة غنائم عظيمة.(١)

وقد أرسل ملك الفرس جيشًا آخر مددًا لقواته في السلاسل وصَلت بعد المعركة، فعسكرت في المذار وانضمت إليها فلول المنهزمين، فتوجه إليهم خالد بن الوليد ﷺ والتحم معهم فيما عرف بمعركة المذار وقتل منهم مقتلة عظيمة.(٢)

موقعة الولجة، أليس (سنة ١٢هـ):

بدأ ملك الفرس يخطط لمقاومة المسلمين فاستعان

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٧.

بنصارى العرب في بلاد العراق لحرب المسلمين فاستجابوا له، وأعد جيشًا كبيرًا قوامه نصارى العرب وجنود الفرس. ولما علم خالد ﷺ بتجمعهم بادر وهاجمهم في (الولجة) وانتصر عليهم، وقتل جموعًا كبيرة منهم، جلهم من نصارى العرب، وأعطى المسلمون الأمان للفلاحين وغير المقاتلين وعاملوهم برفق وأحسنوا إليهم.[1]

غضب نصارى العرب في العراق لمقتل جموع منهم في هذه المعركة فاجتمعوا في مكان يقال له (أليس)، وكتبوا إلى ملك الفرس يطلبون معونته، فوجه إليهم بقوات عظيمة لمساعدتهم. وقد اشتبك المسلمون مع هذه القوات ومعها نصارى العرب في معركة قوية قاد المسلمين فيها خالد بن الوليد ﷺ، ورغم صمود الأعداء فترة طويلة إلا أن المسلمين انتصروا عليهم بفضل الله، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، حتى تغير لون النهر المجاور من

(١) انظر إلى مزيد من التفاصيل حول هذه الوقعة في: الطبري، تاريخه، ج٣/٩.

الدم لكثرة القتلى، فسميت معركة "نهر الدم".[١]

فتح الحيرة والأنبار (سنة ١٢هـ):

كانت الحيرة عاصمة ملوك العرب المناذرة. وكانت مملكتهم من أكبر الممالك العربية وأشهرها، وتضم قبائل عربية متنصرة مختلفة، وهي خاضعة للفرس.[٢]

وبعد اشتباك خالد ﷺ مع نصارى العرب في العراق عدة مرات، توجه إلى الحيرة. وقد حاولت قوات الحيرة من العرب والفرس عرقلة مسير المسلمين إلى مدينتهم، حيث كان المسلمون قد ركبوا السفن بأثقالهم في نهرالفرات متوجهين إلى (الحيرة) فقامت قوات الحيرة بتحويل مجرى النهر ليعرقلوا السفن فركب المسلمون خيولهم وقضوا

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٨؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٧٨.

(٢) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه المملكة انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢/٩٠ ـ ١٠٥.

على من حولوا النهر، ثم واصلوا مسيرهم إلى الحيرة. وقد وصلت أخبار مقتل قوات أهل الحيرة إلى أهلها ففت في عضدهم، ثم جاءت الأنباء بوفاة كسرى فزاد خوف مرزبانها الفارسي، فترك الحيرة لأهلها من نصارى العرب الذين واصلوا تحصين بلدهم ومقاومة المسلمين، فحاصرهم المسلمون، فاضطروا إلى التسليم ومصالحة المسلمين على دفع الحزية، وفتح مدينتهم أمام قوات المسلمين،[1] وتبعًا لذلك قام الأمراء التابعون للحيرة في المناطق المجاورة لها بتقديم الولاء والطاعة للمسلمين.

ثم تقدم خالد رضي الله عنه ومن معه إلى الأنبار، فلما وصلها المسلمون وجد أهلها قد تحصنوا وأحاطوها بخندق يحميها، فحاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم، ووقعت بينهم وبين المسلمين عدَّة معارك، مما أضطر أهلها إلى

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٨؛ الأزدي، فتوح الشام، ص٦٥، فتوح البلدان، ص٢٤٤؛ الطبري، تاريخه، ج١٣/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (عهد الراشدين)، ص٧٨.

طلب الصلح والإقرار بدفع الجزية للمسلمين،[(١)] وقد توجه خالد ﷺ بعد ذلك إلى (عين التمر)، وهي بلدة قريبة من الأنبار، وكان بها جموع من الفرس ونصارى العرب، فقاتلهم المسلمون، واستمات نصارى العرب في قتال المسلمين أكثر من الفرس، وقد تمكن خالد بن الوليد من أسر قائدهم، فانهزموا واستولى المسلمون على عين التمر.[(٢)]

فتح دومة الجندل (سنة ١٢هـ):

كان أبو بكر الصديق ﷺ قد بعث [عياض بن غنم] ﷺ على رأس جيش من المسلمين للمشاركة في فتوح العراق وحدد له طريقًا يسلكه، فكان مروره على

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٨؛ الأزدي، فتوح الشام، ص٦٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٦؛ الطبري، تاريخه، ج١٧/٣؛ الذهبي، تاريخه، ص٧٨.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١١٢؛ الطبري، تاريخه، ج٢١/٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢٤١/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣٤٩/٦.

(دومةالجندل)، فحاصرها، فلمَّا فرغ خالد بن الوليد ﷺ من (الحيرة) و(عين التمر) كتب رسالة إلى عياض وهي من أوجز الرسائل قال فيها: ((من خالد إلى عياض إياك أريد))، ثم سار بجيشه إلى دومة الجندل وإشترك مع عياض في حصار حصنها، ودارت بينهم وبين أهلها مجموعة من المعارك. وتمكن خالد من أسر زعيمها [أكيدر بن عبدالملك] فقتله، ثم تمكن المسلمون من اقتحام الحصن والاستيلاء عليه بالقوة، بعد معارك حامية بينهم وبين أهلها ومن عاونهم من نصارى العرب في شمال الجزيرة العربية.(١)

وبعد فتح دومة الجندل عاد [خالد بن الوليد] ﷺ إلى العراق، وبدأ يثبت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة سابقًا التي حاول أهلها الانتفاض بعد مغادرة خالد إلى دومة الجندل، كما تمكن خالد ومن معه من المسلمين من فتح العديد من المواقع الجديدة. وانتصر المسلمون على جيش موحد في غرب العراق اشتركت فيه قوات الروم

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٤؛ الطبري، تاريخه، ج٢٢/٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣٩٥/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣٥٠/٦.

مع الفرس، في مواجهة المسلمين في موقعة عرفت باسم (الفُراض) بين تخوم الشام والعراق،[١]

وقد توقفت الفتوح في العراق بقية أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد هذه المعركة؛ نظرًا لأن خالد بن الوليد رضي الله عنه ومعظم من معه من جيوش المسلمين جاءتهم الأوامر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالتوجه من العراق إلى الشام للاشتراك في فتحها.[٢]

فتوح الشام (الروم):

كان أول احتكاك بين المسلمين والروم في معركة مؤتة في السنة الثامنة على عهد رسول الله ﷺ. وتلا ذلك بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه في أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولم تكن مهمة تلك الجيوش الفتح ولكن التمهيد له.[٣]

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٦٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٥١؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣٢.

(٣) انظرموقعة مؤته، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثالث.

وبعد أن اوشكت حرب الردة على النهاية في أواخر السنةالثانية عشرة من الهجرة بدأ أبو بكر الصديق ﷺ يحشد الجيوش في المدينة من اليمن والحجاز ونجد وغيرها ليوجِّهها للفتوح في الشام.(١)

بعث أبو بكر ﷺ في أول الأمر [خالد بن سعيد بن العاص] ﷺ في أول الجيوش الموجهة إلى الشام(٢) فتحرك إلى الأطراف الجنوبية لبلاد الشام، وبدأ يواجه نصارى العرب وبعض الروم، وتمكن من إحراز النصر في عدة مواقع، ثم طلب من أبي بكر ﷺ أن يرسل بأجناد أخرى إلى الشام فبعث الصديق ﷺ [عكرمة بن أبي جهل] ﷺ بجيش أخر اشترك مع [خالد بن سعيد] ﷺ في مناوشاته للأعداء. إلا أن الروم حشدوا جموعًا كبيرة لمواجهة

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ الأزدي، فتوح الشام، ص٥، ١١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٨.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٢١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٩.

المسلمين، مما اضطر خالدًا وعكرمة ﷺ إلى الانسحاب جنوب بلاد الشام وانتظار توجيهات الصديق ﷺ الذي كان في هذه الاثناء يواصل حشد الجيوش الموجهة إلى الشام.[1] وقد رأى أبو بكر ﷺ أن يعيد تنظيم الجيوش الموجهة إلى الشام؛ لبدء مرحلة قوية وجادة من الجهاد والفتح، فكونَّ الصديق ﷺ أربعة جيوش، وعين عليها أربعة أمراء على النحو التالي:

١. أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، ووجهته حمص، وحدد له طريق تبوك ـ الجابية ـ دمشق.

٢. يزيد بن أبي سفيان ﷺ، ووجهته دمشق، وحدد له طريق تبوك ـ البلقاء ـ دمشق.

٣. عمرو بن العاص ﷺ، ووجهته فلسطين، وحدد له طريق أيلة ـ فلسطين.

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص١١، ١٢، ١٣؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٨.

٤. شرحبيل بن حسنة ﷺ، ووجهته الأردن، وحدد له طريق تبوك ـ الأردن.(١)

عقد أبو بكر الألوية لهؤلاء الأمراء وسيرهم في أوقات متقاربة ونصحهم بنصائح عدة، وكانت لكل أمير نصيحة خاصة، حسب وجهته. وهذه النصائح في مجملها تحث على التقوى ومشاورة الجند والرفق بهم، والتعاون فيما بينهم، وعدم قتل الشيوخ والصبيان والأطفال وعدم قتل الحيوانات أو قطع الاشجار لغير حاجة وإقامة الصلاة وإكرام الرسل، والصدق والحذر، والشجاعة، ومسالمة المسالمين.(٢)

وقد توجه كل قائد من أولئك القواد الوجهة التي حددها أبو بكر الصديق ﷺ. وقد أعد الروم جيشًا

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ الأزدي، فتوح الشام، ص١١، ١٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥، ١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٨.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٣٢، ٥٠؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣١.

كثيفًا لمواجهة المسلمين، وقسموه أربعة أقسام كل قسم يواجه جيشًا من جيوش المسلمين. ودارت المراسلات بين جيوش المسلمين بعضها مع بعض، وبينهم وبين أبي بكر الصديق ﷺ للتنسيق فيما بين الجيش، فصدرت أوامر أبي بكر الصديق ﷺ إلى القواد الأربعة بالتجمع وتوحيد جيوشهم لمواجهة الروم، وفي الوقت نفسه كتب أبو بكر ﷺ في العراق بالتوجه بنصف جيش العراق إلى الشام وبتولي جيوش الشام عند وصوله، وأن يتعاون مع القواد الآخرين في ذلك.(١)

وقد توجه خالد بن الوليد ﷺ ملبيًا أمر أبي بكر الصديق ﷺ، واجتاز بالجيوش الإسلامية أخطر الطرق وأسرعها وأوعرها وتعرض هو وجنوده للأخطار والمصاعب، إلا أنه وصل إلى الشام في وقت قياسي لم يتوقعه الأعداء، ومن مكان لم يتوقعوه أيضًا. وتمكن من فتح المواقع في الطريق، ومنها (تدمر) و(حوران)

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٣٢، ٥٠؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣١.

و(بصرى).[١] وقد التقى خالد بن الوليد ﷺ مع بقية جيوش المسلمين في الشام بالقرب من اليرموك.[٢]

معركة اليرموك (سنة ١٣هـ):[٣]

أعد الروم جيوشًا عظيمة لمواجهة جيوش الفتح الإسلامي في الشام، وتوالت إمداداتهم بقيادة [باهان][٤]. وفي الوقت الذي وصل فيه خالد بن الوليد ﷺ إلى الشام قادمًا من العراق بتوجيه من الصديق ﷺ. وقد تجمعت جيوش الفريقين في وادي اليرموك شمالي نهر الأردن بالقرب من جبال الجولان، وقد كان المسلمون قبل وصول خالد ﷺ يتساندون في القتال، إلا أن كل جيش

---

(١) بصرى: بلدة مشهورة في الشام من أعمال دمشق (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٤٤١).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ الأزدي، فتوح الشام، ص٧٣، ٨١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٨؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول موقع المعركة راجع: محمود شاكر، ميدان موقعة اليرموك، ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

(٤) انظر إلى بعض أخبار باهان في: الأزدي، فتوح الشام، ص١٧٥؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/١٧٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩١.

كانت له قيادته الخاصة، فرأى خالد ضرورة توحيد قيادة الجيوش الأربعة، وأن تلاقي الروم كتلة واحدة وصفًا واحدًا. وقد اقتنع القواد بذلك الرأي وخططوا لأن يتولى القيادة في كل يوم أحد القواد الأربعة، وأن يتولى خالد قيادة الجيوش الموحدة في اليوم الأول.(١)

وقد حاول الروم التجسس على المسلمين؛ لمعرفة أحوالهم المختلفة، فأرسل قائدهم رجلاً من نصارى العرب اندس في صفوف المسلمين لينقل الأخبار للروم، فأقام فيهم سرًا يومًا وليلة، ثم رجع إلى قائد الروم فقال له القائد ما وراءك؟ فقال يصف المسلمين: (هم قوم يقومون الليل كله يصلون ويصومون النهار، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رهبان بالليل أسد بالنهار، لو يسرق ملكهم قطعوا يده، ولو زنى لرجموه لإيثارهم الحق، واتباعهم إياه على الهوى فقال: لئن كان هؤلاء القوم كما تزعم وكما ذكرت لبَطن الأرض خير لمن يريد قتالهم ولقاءهم من ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص١٨٨.

يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي)[١].

واستعد كل من الروم والمسلمين لهذه المعركة، واختار الروم موقعًا ضيقًا، حشرهم الله فيه بأيديهم، حيث حرصوا أن تحيط بهم الوديان والجبال من اليمين واليسار، وحافة أحد الجبال من الخلف؛ ليتفرغوا من الأمام لقتال المسلمين بزعمهم، فكان اختيارهم لهذا الموقع تيسيرًا للمسلمين، الذين تفاءلوا قائلين لبعضهم: ابشروا حصرت الروم.[٢] وأحس المسلمون بتفاؤلهم أن هذا بداية النصر لهم. وقد اختار المسلمون موقعًا لهم أمام الروم مفتوحًا ييسر لهم الحركة، رغم أن الروم تصوروا أن توزيع مواقع القوات كان في صالحهم.

خرج الروم في اليوم الأول للمعركة في تعبئة عظيمة، وخرج المسلمون في تعبئة أخرى، تولى تنظيمها خالد بن

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٢١١.

(٢) انظر تفصيلات الموقع عند: محمد شاكر، ميدان معركة اليرموك، ص٢٢، ٢٤.

الوليد ﷺ حيث قسم الجيش إلى ستة وثلاثين كردوسًا، وهي تعبئة جديدة للمسلمين، كان لها دور في إرهاب الأعداء وتقوية عزيمة المسلمين.

وقد توزع القراء بين المسلمين قبل المعركة، وأخذوا يقرأون سورة الأنفال، ويردد المجاهدون وراءهم، كما انتشر القراء والوعاظ والمذكرون الذين يحثون المسلمين على الصبر والثبات أمام الأعداء،[(١)] وفي الوقت نفسه كان القسس والرهبان في مقدمة جيوش الروم يحثونهم على الثبات والدفاع عن النصرانية. وقد بدأ القتال بحملة قوية وشجاعة من الروم على صفوف المسلمين كادت أن تزلزلهم لولا تثبيت الله ـ تعالى ـ للمسلمين وتصبيرهم.[(٢)]

وقد تبايعت كتيبة من المسلمين على الشهادة قواهما أربع مئة رجل كان على رأسها [عكرمة بن أبي جهل][(٣)]، و[الحارث بن هشام]، و[ضرار بن الأزور] ﷺ، فألقوا

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٢١٨؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣٤.
(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٢٢٢، ٢٢٣.
(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/٣٦.

دروعهم، وقاتلوا ببسالة منقطعة النظير، حتى قتلوا أو جرحوا جميعًا، وتمكن المسلمون من إعادة الكرة على الروم في هجوم معاكس، حتى ضيقوا عليهم، فحاول فرسان الروم الفرار من المعركة مذعورين، فترك لهم المسلمون فرجة ليفروا منها، ففر فرسان الروم منهزمين طالبين النجاة لأنفسهم، وتركوا راجلة جيشهم لمصيرهم، فضيق عليهم المسلمون وشدوا عليهم بالسيوف،(١) فتراجعوا إلى الوراء، ووقعت ألوف منهم في الواقوصة ـ حافة الوادي من الجبل ـ فهلكوا، وكانوا قد ربطوا بعضهم ببعض بالسلاسل مجتمعين حتى يثبتوا ولا يفروا، فكانوا إذا وقع بعضهم في الواقوصة سحبوا معهم بقية من في السلسلة، فهلك الكثير منهم دون قتال، وانتصر المسلمون عليهم بعد معركة دامت يومًا وبعض اليوم.(٢)

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٢٣٠.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٢٣١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤١؛ وانظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٣٠؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣٣.

وقد شاركت نساء المسلمين اللاتي صحبن محارمهن في المعركة، وكان لهن دور كبير فيها.[١]

وكانت نتيجة المعركة استشهاد ثلاثة آلاف من المسلمين، وكانت فيهم جمع من أصحاب رسول الله ﷺ، كما قتل من الروم قرابة مئة ألف مقاتل. وحينما سمع هرقل ملك الروم بنتيجة المعركة وكان في حمص ارتحل منها متجهًا إلى الشمال يائسًا من بلاد الشام، وقال قولته المشهورة: سلام عليك يا سورية سلام مودع، لا يرى أنه يرجع إليك أبدًا.[٢]

وفي أثناء معركة اليرموك جاء نعي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[٣] ومعه أمر من عمر بعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه عن قيادة الجيش وتولية أبي

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٢٢٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤١؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣٣.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٢٣٦؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٣٨.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٢؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٥٥، ٥٩؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٩.

عبيدة مكانه، فتسلَّم الرسالة أبو عبيدة ﷺ ولم يخبر خالدًا بعزله. فلما علم خالد بذلك عتب على أبي عبيدة، حيث إن كل واحد منهما لم يكن يرغب الإمارة لنفسه. وكان سبب عزل عمر لخالد خشيته من اتكال الناس عليه، حيث قال عمر ﷺ: ((إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه، فأحببت أن يعلموا أن اللّه هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة)). وفي رواية: ((أنه قال: أردت أن يعلم الناس أن اللّه إنما ينصر دينه وليس خالدًا ولا المثنى)).[1]

* * * * *

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٧٨.

إدارة الصديق ﷺ للبلدان:[1]

تولى الصديق ﷺ الخلافة من بعد رسول الله ﷺ وكانت دولة الرسول ﷺ تمتد في نواحي الجزيرة العربية بولاياتها ومناطقها المختلفة، فيها العديد من الولايات. وقد تولى الأمر فيها زمن الرسول ﷺ مجموعة من الأمراء والعمال على بلدان مختلفة، إلا أن بعضها ظهرت فيها الردة واضطربت أحوالها ـ كما مرَّ الحديث عنه ـ، وهذه المناطق على النحو التالي:

مكة المكرمة:

من المعروف أن الرسول ﷺ كان قد ولى [عتّاب بن أسيد] ﷺ على مكة بعد الفتح، وقد أقره أبو بكر ﷺ عليها بعد خلافته، واستمر عتّاب واليًا لمكة طوال خلافة أبي بكر الصديق ﷺ. وقد نجَّى الله مكة من الردة

---

(١) جزء كبير من هذا الموضوع مقتبس من الفصل الأول من كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين).

فاستمرت على ما كانت عليه قبل وفاة الرسول ﷺ،[١] فكانت الأمور في مكة مستقرة أيام أبي بكر رضي الله عنه. وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يكتب إلى عتّاب بن أسيد رضي الله عنه في مكة بإرسال المتطوعين للجهاد. وفي إحدى المرات طلب منه أن يبعث بخمس مئة متطوع فبعثهم عتّاب.[٢]

كما استفاد أبو بكر من عتّاب رضي الله عنهما في تنظيم أمور الحج في السنة الحادية عشرة.[٣] وقد كان لعتّاب مرتب بسيط نظير القيام بعمله. وقد توفي عتّاب رضي الله عنه في السنة التي مات فيها أبو بكر أي سنة ١٢هـ.[٤] وبهذا تكون ولاية مكة أثناء عصر أبي بكر محصورة في عتّاب رضي الله عنه لم تتجاوزه لغيره.

---

(١) الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع سليمان بن موسى، حروب الردة، تحقيق د. أحمد غنيم، ط١ ــ القاهرة: دار الاتحاد العربي، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥؛ محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص٣٤٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٩/١٢٧.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٤٧؛ الذهبي، المحبر، ج١/٣.

الطائف:

كان الرسول ﷺ ولى عليها [عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي] رضي الله عنه بعد قدوم وفد الطائف وإسلام أهلها. وقد توفي الرسول ﷺ وعثمان رضي الله عنه على الطائف، فأقره أبو بكر عليها فكان واليًا عليها طيلة أيام أبي بكر رضي الله عنه.[(١)] خلال هذه الفترة كان للطائف دور كبير في إرسال المتطوعين للجهاد،[(٢)] أثناء خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وهو الدور نفسه الذي قامت به مكة، إذ إن الطائف بقيت على إسلامها ولم ترتد.

المدينة المنورة:

كان أبو بكر رضي الله عنه يدير أمورها بنفسه. وحينما يضطر لمغادرة المدينة لبعض الوقت كان ينيب عليها من

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٢٧؛
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٧٤.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥.

يقوم بشئونها أثناء غيابه، وقد حدث ذلك عدة مرات، إحداها بعد شهرين من خلافته.[(١)] وكان هذا الإجراء اقتداءً بسنة الرسول ﷺ الذي لم يكن يغادر المدينة إلا ويستخلف عليها أميرًا أثناء غيابه.

البحرين:

دخلت البحرين في الدولة الإسلامية أيام الرسول ﷺ. وقد بعث عليها العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه أميرًا، وتوفي الرسول ﷺ وهو عليها، فأقره أبو بكر رضي الله عنه واستمر واليًا على البحرين طيلة أيام أبي بكر رضي الله عنه.[(٢)]

كان للعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه دور كبير في جهاد المرتدين في البحرين ـ كما ذكرنا ـ حين ارتدت معظم قبائل البحرين بعد وفاة الرسول ﷺ، فقد استطاع العلاء

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٠١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٢؛ ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط ورقة ٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٦٢.

بتوجيه من أبي بكر الصديق ﷺ أن يقضي على الردة، ويعيد البحرين إلى صف الإسلام مرة أخرى. وبعد هذا الفتح وجه العلاء ﷺ بخمْس الغنائم إلى أبي بكر الصديق ﷺ. وقد أقره أبو بكر ﷺ على البحرين طيلة خلافته،[(١)] فكانت البحرين تنعم بالاستقرار بقية أيام أبي بكر ﷺ تحت ولاية العلاء بن الحضرمي ﷺ، الذي جرت بينه وبين أبي بكر ﷺ العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون ولاية البحرين.[(٢)]

عُمان:

أسلمت أيام الرسول ﷺ، وكان بها [المنذر وعباد ابنا الجلندي] ملكين. وقد بعث الرسول ﷺ بعمرو بن العاص إلى عُمان أميرًا، يقيم صلاتهم، ويجمع صدقاتهم، وقد

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٥٥؛ البلاذري، فتوح البلدان ٩٤؛
ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، كتاب الفتوح، ط١ ـ حيدر آباد، الهند: دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ج١/٤٨.

(٢) الكلاعي الأندلسي، حروب الردة؛
وانظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص٣٤٦.

توفي الرسول ﷺ وعمرو أميرًا على عمان ويساعده على الصدقات أبو زيد الأنصاري ثابت بن زيد رضي الله عنهم[(١)].

وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت (الأزد) من قبائل عُمان، فوجه أبو بكر رضي الله عنه إليهم [حذيفة بن محصن][(٢)] و[عكرمة ابن أبي جهل بن هشام][(٣)] رضي الله عنهم فقاتلا المرتدين عند مدينة

(١) خليفة بن خياط، ص٩٧؛
البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٧؛ الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ص١٧٨ (أبو زيد ثابت الأنصاري): اسمه ثابت بن زيد، وقيل: ثابت بن قيس بن زيد وهو والد زيد بن ثابت الذي اشتهر بجمع القرآن، وهو من الأنصار من بني الحارث بن الخزرج له صحبه توفي أول خلافة عثمان (ابن حجر، الإصابة، ج١/ ١٩٣، ١٩٥).

(٢) حذيفة بن محصن القلعاني ولاه أبو بكر على عمان وتوفي أبو بكر وهو عليها.
(ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١/٢٧٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٣١٧).

(٣) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، خرج إلى المدينة واشتهر بجهاده ضد المرتدين أيام أبي بكر الصديق، استشهد في اليرموك في خلافة عمر (ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١/٧٣٠؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٩٦).

(دبا) فانتصرا عليهم، واستقام الأمر للإسلام مرة أخرى في عمان، فأقر عليها أبو بكر ﷺ [حذيفة بن محصن] ﷺ، واستمر طيلة أيام أبي بكر ﷺ يؤدي واجبه في ولاية عُمان، يديرها ويجمع صدقاتها ويوزعها في أبوابها ويجمع الجزية من الذميين، ويبعثها إلى المدينة.(١)

نجد:

في بداية خلافة أبي بكر ﷺ كانت تنتشر في نجد العديد من القبائل، ومن أهمها وأخطرها بنو حنيفة في اليمامة، التي ارتدت بزعامة مسيلمة الكذاب قبيل وفاة الرسول ﷺ ـ كما ورد ذكره ـ. وقد وجه إليهم أبو بكر الصديق ﷺ خالد بن الوليد ﷺ، فاستطاع قتل مسيلمة والقضاء على المرتدين، ـ كما مرَّ ذكره ـ وعين خالد واليًا على اليمامة بأمر من أبي بكر وهو [سمرة بن عمرو العنبري] ﷺ.(٢)

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٨؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٠.=

كما كان أبو بكر ﷺ يرسل العمال إلى القبائل في نجد، ويقوم هؤلاء العمال بدور ولاة البلدان لدى هذه القبائل في حالات استقرار الأمور.(١) وقد عين أبو بكر في بداية خلافته [سعد بن أبي وقاص] ﷺ للعمل على صدقات هوازن بنجد،(٢) كما عين يزيد بن أبي سفيان ﷺ على تيماء شمال نجد وجنوب الشام.(٣)

ونحن نرى أن أبابكر وزع ولاته في نجد، سواء منهم من كان على بلدان معينة كاليمامة وتيماء أم من كان منهم على قبائل كهوازن وغيرها من القبائل التي كانت تنتشر في نجد. كما أن أبا بكر قد واجه في هذا الإقليم

=وسَمُرَة بن عمرو بن قُرْط العَنْبَري صحابي من تميم له ذكر في عدة أحاديث. استعمله خالد بن الوليد على اليمامة أيام أبي بكر كما استعمله عثمان بن عفان (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج١/٢٣٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٧٩).

(١) انظر: عبدالعزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص٥٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٨٤.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦.

العديد من المشاكل، نظرًا لارتداد معظم القبائل في نجد، إلا أنه استطاع أن يخضع هذه المنطقة ويسيطر عليها سيطرة كاملة[(١)] ويعين عليها من الولاة والعمال من يديرون شئونها.

اليمن وحضرموت:

اليمن وحضرموت كانتا ولايتين قائمتين بذاتهما أيام الرسول ﷺ. وقد عين ﷺ عليهما مجموعة من الأمراء، وحدد لكل واحد منهم منطقة معينة يقوم بإدارتها، كما حدد لهم صلاحيات معينة. وبالإضافة إلى ذلك فقد جعل معاذ بن جبل رضي الله عنه مشرفًا عامًا على هؤلاء العمال والأمراء.

وحينما علم أهل اليمن وحضرموت بوفاة الرسول ﷺ انتفضوا وتذبذب الأمر فيها مرة أخرى، وضعف شأن الأمراء حتى إنهم لجأوا إلى بعض المسلمين في القبائل لحمايتهم.[(٢)]

---

(١) انظر: الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ص٤٠ ـ ١٦٠.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٤.

واستطاع أمراء الرسول ﷺ التعاون فيما بينهم مع (الأبناء)[(١)] الفرس على قتل [الأسود العنسي] والقضاء على أتباعه. وقد نجحوا في المهمة التي وكلت إليهم.[(٢)]

وأول أعمال أبي بكر بعد وفاة الرسول بالنسبة لليمن وحضرموت إقرار الولاة الذين سبق أن عينهم الرسول ﷺ هناك. وكان من أبرزهم [معاذ بن جبل] رضي الله عنه الذي كان أكثرهم أهمية وأعمالاً ومسئولية منذ أيام الرسول ﷺ. وبرز دور معاذ في تعليم الناس أمور دينهم، وجمع الصدقات وتوزيعها على الفقراء، إضافة إلى إمارته على (الجند).[(٣)]

وقد بقي معاذ واليًا على اليمن فترة من خلافة أبي بكر، ثم قدم إلى المدينة مختارًا للجهاد في سبيل الله في

---

(١) (الأبناء) هم أبناء الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن قبل إسلامها. (البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٤؛
الكلاعي، الأندلسي، حروب الردة، ص١٨٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢١٥.

الشام على الولاية، فوافقه أبو بكر وأوصى به أبا عبيدة خيرًا.[١] ولهذا فإن معاذًا لم يشتهر عنه الاشتراك في حوادث تاريخية عديدة في اليمن خلال عصر أبي بكر الصديق ﷺ، على الرغم من ذكر كثير من المؤرخين لمعاذ على أنه من أبرز ولاة اليمن في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.[٢]

وكان [المهاجر بن أمية] ﷺ[٣] أحد الولاة الذين عينهم الرسول ﷺ على اليمن. وقد حال مرضه دون خروجه إلى عمله، حتى توفي الرسول ﷺ وهو في المدينة، فبعثه أبو بكر ﷺ إلى اليمن وأمره بالمشاركة في قتال المرتدين فيها.[٤]

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص١٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٢١.

(٣) المهاجر بن أمية بن عبدالله المخزومي القرشي أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ شهد بدر مع المشركين ثم أسلم بعدها، ولاه النبي ﷺ على بعض اليمن وقاتل المرتدين بها واستمر إلى أيام أبي بكر (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج٢/٩٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٤٦٥).

(٤) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٠؛ ابن الأثير، الكامل ج٢/٣٧٨؛ الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ص٢١٠.

وقد توجه المهاجر إلى اليمن، واشترك مع [زياد بن لبيد البياضي] رضي الله عنه[(١)] في القضاء على المرتدين في اليمن وحضرموت، حتى إذا فرغوا منهم ولاه أبو بكر رضي الله عنه على صنعاء وأعمالها.[(٢)] وكان يشترك معه أحد أمراء الفرس من الأبناء وهو [فيروز الديلمي][(٣)] في إدارة شئون اليمن.[(٤)]

وقد كان للمهاجر رضي الله عنه دور كبير في حروب الردة في اليمن وحضرموت وإعادتها إلى صف الإسلام مرة أخرى.[(٥)] وكانت بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه مجموعة من

---

(١) زياد بن لبيد البياضي الأنصاري الخزرجي بايع الرسول ﷺ في العقبة وشهد بدرًا والمشاهد بعدها مع الرسول ﷺ استعمله الرسول ﷺ على حضرموت، واشتهر بقتال المرتدين من كندة في عصر أبي بكر رضي الله عنه، أدرك خلافة معاوية (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج١/١٩٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٥٨).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤.

(٣) فيروز الديلمي: هو أحد أبناء الفرس الذين نزلوا اليمن. أسلم وله صحبة ورواية، قتل الأسود العنسي بأمر من الرسول ﷺ توفي سنة ٥٣هـ، (الذهبي، تاريخ الإسلام، القاهرة: مكتبة المقدسي، ١٣٦٨هـ، ج٢/٣١٠).

(٤) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٦.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٠؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٥، ٢٧٤.

المراسلات إحداها في تأديب مغنيتين غنت إحداهما بشتم الرسول ﷺ فقطع المهاجر يدها وانتزع ثنيتها، فأقره أبو بكر ﷺ على ذلك.(١)

ويبدو أن المهاجر بن أمية ﷺ كان في بداية ولايته عاملاً لأبي بكر ﷺ على (الصدف وكندة)(٢)، ثم انتقل بعد ذلك إلى صنعاء. ويذكر بعض المؤرخين أن أبا بكر ﷺ خيره بين اليمن أو حضرموت فاختار اليمن.(٣)

ومن ولاة اليمن ـ أيضًا ـ زياد بن لبيد البياضي ﷺ، فقد ولاه رسول الله ﷺ حضرموت ثم ضم إليه كندة. ويقال: إن الذي ضمها إليه أبو بكر الصديق ﷺ.(٤)

واستمر طيلة عهد الرسول ﷺ واليًا على كندة

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٤؛
الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٧.

(٢) الصَدِف: بالفتح ثم الكسر مخلاف باليمن منسوب إلى قبيلة من كندة أو حضرموت. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/٣٩٧).

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٩.

وحضرموت.[(١)] وفي بداية عهد أبي بكر ﷺ دعا زياد ﷺ الناس إلى بيعة أبي بكر ﷺ، فبايعه بعض الناس وتوقف البعض الآخر، وقد اشتهر زياد ﷺ بصلابته في الحق، فلم يرض من هؤلاء التوقف عن البيعة، وأخذ يستعد لهم، خصوصًا أن بعضهم منع الزكاة، مما دفع زيادًا ﷺ إلى الإصرار على قتالهم.[(٢)]

وقد تعاون زياد ﷺ مع المهاجر بن أمية ﷺ والي صنعاء في القضاء على ردة من منع الزكاة من قبائل اليمن وحضرموت، وخصوصًا كندة التي شقت عصا الطاعة، واستطاعا بهذا التعاون القضاء على هذه الردة، وقتل بعض زعماء كندة، وبعث البعض أسرى إلى أبي بكر

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٦؛
الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٠؛
ابن الأثير، الكامل، ج٢/٣٧٨؛
ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة: ٦١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٩، ١١٠؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧١؛ الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ص١٩٣.

في المدينة.[١] وقد استمر زياد ﷺ على ولايته بقية عهد أبي بكر ﷺ. وكانت بينه وبين أبي بكر ﷺ عدة مراسلات.[٢]

وقد وجدت في اليمن مجموعة أخرى من الولاة الذين حددت لهم مواطن بعينها، ومن هؤلاء [جرير بن عبدالله] ﷺ[٣] الذي كان على نجران. وقد جدد لأهل نجران مع أبي بكر الصديق ﷺ ما كان عاهدهم عليه الرسول ﷺ كما كان له دور في حرب من ارتد بنجران.[٤]

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١١، ١١٢؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٢؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٥؛ الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ص٢٠٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١/٣٧٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٣٧٦.

(٣) جرير بن عبدالله البَجَلي من أعيان الصحابة قدم مسلمًا من اليمن وجاهد مع الرسول ﷺ واستعمله الرسول في نجران، ثم جاهد في فتوح العراق وسكن الكوفة، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية ﷺ، توفي حوالي سنة ٥١هـ (ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١/٧٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٥٣٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٢٣٢).

(٤) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٦.

وقد كان [فروة بن مسيك المرادي] رضي الله عنه[(١)] من هؤلاء الولاة المحددين بمناطق بعينها، حيث كان على صدقات قومه (مراد) ومن نازلهم في ديارهم[(٢)] واشترك مع بقية أمراء اليمن في حرب المرتدين.[(٣)] كما كان ضمن الأمراء على اليمن [عكاشة بن محصن] رضي الله عنه[(٤)] وكان عاملاً على (السكاسك والسكون)[(٥)] منذ أيام الرسول ﷺ[(٦)] وتوفي

(١) فَرْوَة بن مسيك المرادي اليمني، قدم مع قومه على النبي ﷺ فأسلم واستعمله الرسول ﷺ على مراد ومذحج في اليمن، ثم سكن الكوفة في عصر عمر (ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣/٢٠١؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج٢/٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٢٠٥).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٨.

(٣) المصدر السابق، ج٣/٢٧٠.

(٤) عكاشة بن محصن الأسدي، حليف قريش، من السابقين الأولين للإسلام شهد بدرًا وأحدًا وغيرها مع النبي، شهد له الرسول ﷺ بالجنة. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١/٣٦٣).

(٥) السَّكاسِك والسكون: السَّكَاسِك علم على قبيلة نسب إليها مخلاف باليمن (ياقوت، معجم البلدان، ج٣/٢٢٩).

(٦) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٠.

وهو عليها، واشترك مع بقية أمراء اليمن في حرب المرتدين من كندة.[١] وقد عاد إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، إلا أنه توفي في السنة الثانية عشرة من خلافة أبي بكر ﷺ.[٢]

وقد وردت أسماء ولاة آخرين على بعض الأماكن في اليمن زمن الصدِّيق، ألا أن عدم اشتراكهم في الأحداث وعدم ذكر شيء من ولايتهم جعلنا لا نتوقف كثيرًا عندهم.[٣]

واليمن وحضرموت قسمتا على عدد من العمال أيام الرسول ﷺ. واستمر هذا التقسيم في بداية عهد أبي بكر. ﷺ وقد اشترك الولاة مع بعضهم، مجتمعين أو متفرقين،

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٧.

(٣) ومن هؤلاء الولاة عكرمة بن أبي جهل وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن ثور، وعبيد بن سعد وغيرهم.
انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٢١؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٤٤.

بالتعاون مع من ثبت على إسلامه، ومع الجنود الذين بعثهم أبو بكر ﷺ في القضاء على المرتدين في اليمن وحضرموت. ثم بعد نهاية حروب الردة كان لهم دور كبير في إرسال المتطوعين من أهل اليمن للجهاد في الشام وفي العراق في عصر أبي بكر ﷺ.

العراق:

ورد الحديث عن أن أبا بكر الصديق ﷺ انشغل في بداية خلافته بجهاد المرتدين في مختلف الأقاليم داخل بلاد العرب في اليمامة واليمن وعمان والبحرين ونجد.

وفي أواخر حروب الردة بدأ المثنى بن حارثة الشيباني ﷺ،[1] يغير على أطراف سواد العراق في رجال من

(١) المثنى بن حارثة بن سَلَمَة الشيباني، وفَدَ على النبي ﷺ في سنة تسع أو عشر. بدأ قتال من يليه من الفرس في خلافة أبي بكر حتى أمده بخالد بن الوليد، وكان ذلك ابتدأ فتوح العراق وفارس توفي سنة ١٤هـ قبل القادسية (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢٩٩/٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣٦٢/٣).

قومه،[(١)] ثم إنه قدم إلى أبي بكر ﷺ في المدينة وقال له: يا أبا بكر استعملنِ على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس، فكتب له أبو بكر ﷺ بذلك عهدًا، فأخذ يقاتل الفرس ناحية السواد قريبًا من العام.

ثم إن أبا بكر الصديق ﷺ أمر خالد بن الوليد ﷺ بعد انتهائه من مسيلمة الكذاب بالتوجه إلى العراق، فوصل إليها في السنة الثانية عشرة من الهجرة وبدأ فتوحه فيها من الجنوب،[(٢)] كما وجه أبو بكر ﷺ في الوقت نفسه [عياض بن غنم] ﷺ[(٣)] وأمره أن يقتحم فارس من مكان آخر حدَّد له، وأن يتسابقا في الفتح فأيهما سبق

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٨٣؛
البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٧.

(٣) عياض بن غَنْم الفهري القرشي صحابي جليل ممن بايع بيعة الرضوان اشترك في فتوح العراق وكان أحد القواد وهو الذي افتتح معظم الجزيرة، عاش ستين سنة وتوفي سنة ٢٠ بالشام. (ابن الأثير، أسد الغابة ج٤/١٦٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٥٤).

إلى الحيرة أولاً فهو أمير على صاحبه.[(١)] ـ كما مرَّ ذكره ـ.

وأخذ خالد يفتح في بلاد العراق ويعين الأمراء والولاة على البلاد المفتوحة، ففتح الأنبار[(٢)] وعين عليها الزبرقان ابن بدر رضي الله عنه.[(٣)] واستمر خالد رضي الله عنه يسير في بلاد العراق فاتحًا، حتى وصل إلى الحيرة فحاصرها، ثم صالحه واليها من قبل كسرى على مبلغ من المال.[(٤)] وكان معظم سكانها من نصارى العرب من المناذرة، فاتخذها خالد

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٥.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر وجمال الشيال، مكتبة المثنى بغداد، بدون تاريخ ص١١٢؛
الطبري، تاريخه، ج٤/٢١.

(٣) الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي، قدم في وفد تميم على الرسول ﷺ، فاستعمله على صدقات قومه فأداها واستمر على عمله أيام أبي بكر وعمر، عاش إلى زمن معاوية (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/١٩٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٤٤).

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٤؛
الطبري، تاريخه ج٤/١٤.

ﷺ قاعدة للفتوح، واستخلف عليها عياض بن غنم ﷺ واليًا.[١] وكان أبو بكر ﷺ قد أمره باتخاذها مركزًا للمسلمين.[٢] واستمر خالد في فتوح العراق وتولية العمال عليها لإدارتها، وكان خالد ﷺ أثناء إقامته في العراق يعد هو الوالي عليها والمتصرف في شؤونها،[٣] إلى أن غادرها حينما أصدر أبو بكر ﷺ أمرًا لخالد بن الوليد ﷺ بالتوجه إلى الشام لمساعدة الفاتحين هناك، فغادر العراق مسرعًا نحو الشام، واستخلف المثنى بن حارثة الشيباني ﷺ[٤] بناء على أمر أبي بكر ﷺ وكان مسير خالد ﷺ إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة (١٣) هـ، واستمر المثنى على العراق بقية أيام أبي بكر الصديق ﷺ.[٥]

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٨؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٥.

(٣) ابن سلام، الأموال، ص٤٢.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٨.

(٥) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٨.

وكانت بين المثنى ﷺ وبين قواد فارس خلال هذه الفترة العديد من المراسلات، ووقعت خلالها بعض المعارك مع الفرس في عدة مواقع، وقد سافر المثنى ﷺ من العراق إلى المدينة لطلب النجدة والمدد، فوصل إليها أثناء مرض أبي بكر ﷺ الذي توفي فيه، فأوصي أبو بكر عمر ﷺ أن يمد المثنى ﷺ وينتدب معه الناس لغزو فارس وأنْ لا يشغله موت أبي بكر عن ذلك.(١)

وكانت ولاية خالد والمثنى ﷺ للعراق أيام أبي بكر ﷺ مشحونة بالفتوحات والمعارك العسكرية ــ مرَّ ذكرها ــ التي طغت على أعمال الرجلين خلال هذه الفترة، كما برزت العديد من المعارك الخطيرة التي غيرت مجرى التاريخ في تلك الأيام.

الشام:

كانت الشام جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية خلال عصر الرسول ﷺ، ولم يكن للمسلمين فيها أي سلطان.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤١٤.

وقد مرت بالخلافة الإسلامية في بداية عصر أبي بكر الصديق ﷺ ظروف عصيبة صاحبت حروب الردة، ومنعت أبا بكر من غزوة الشام إلا ما كان من بعثه لجيش أسامة بن زيد ﷺ، الذي كان قد أعده الرسول ﷺ للخروج ناحية الشام، وحال دون خروجه مرض الرسول ﷺ ووفاته، وقد عاد جيش أسامة ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيدًا،[1] وفي الوقت نفسه اتجهت جهود أبي بكر ﷺ لقتال المرتدين في بلاد العرب. ولما فرغ أبو بكر ﷺ من حروب أهل الردة[2] بدأ بإعداد الجيوش الإسلامية للجهاد ضد الروم في بلاد الشام، وذلك بعد عودته من الحج في السنة الثانية عشرة من الهجرة.[3]

وقد اختار أبو بكر ﷺ أربعة من القواد ـ كما مرَّ بنا ـ وجعل كل واحد منهم على رأس ثلاثة آلاف مقاتل،

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢١٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١/٢١.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨؛
الذهبي، العبر، ج١/١٣.

وأمره أن يسير في طريق معين وحدد له جهة معينة للفتح.[١] وهؤلاء الأمراء هم: أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو ابن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان ﷺ. فأما (أبوعبيدة بن الجراح) ﷺ فقد أمره أبو بكر ﷺ بالتوجه إلى حمص، وحدد له طريقًا يسلكه وأعطاه الولاية على بقية الأمراء في حال اجتماعهم لحرب.[٢] وقد خرج أبو بكر ﷺ لوداع أبي عبيدة ﷺ بنفسه مع جمع من المسلمين، ونصحه بنصائح عديدة، ثم بعد أن سار أبو عبيدة ﷺ أرسل له أبو بكر ﷺ مزيدًا من النصائح والتوجيهات مع بعض الرسل.[٣] وقد استمر أبو عبيدة ﷺ

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٦؛
ابن طباطبا، محمد بن علي الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ـ بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص٧٥.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص٧؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٤٠٥؛ ابن الأثير الكامل، ج٢/١٣٣.

(٣) الأزدي، المصدر السابق، ص١٨، ١٩.

أميرًا على القوم حتى قدم خالد بن الوليد من العراق إلى الشام. وكانت ولاية أبي عبيدة ﷺ خلال هذه الفترة ولاية عسكرية بالدرجة الأولى، حيث كان بقية القواد مشغولين بالفتح في نواحٍ متعددة. إلا أن أبا عبيدة ﷺ رغم ذلك كان يصدر لهم التوجيهات المختلفة، حتى قدم خالد ﷺ من العراق، وكان نُزل أبي عبيدة ﷺ بالجابية.[1] أما بقية الأمراء فقد تفرقوا في أماكن أخرى. وقد تعرض المسلمون لخطر شديد، نتيجة لاجتماع الروم على حربهم بأعداد كبيرة، مما دفع أبا عبيدة ﷺ إلى طلب الاجتماع مع بقية الأمراء الذين كان قد ولاهم على بعض أجزاء الشام أثناء الفتوح أيام أبي بكر ﷺ. وبعد أن استشارهم في الأمر كتب إلى أبي بكر الصديق ﷺ فوافق رأيُه رأيَ الأمراء بالاجتماع لحرب الروم وعدم التفرق. فاجتمع

(١) الجابية: قرية في الشام من أعمال دمشق، ناحية الجولان، بالقرب من حوران وفيه خطب عمر بن الخطاب خطبة مشهورة في جنود الفتح حين زار الشام (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/٩١).

المسلمون في اليرموك، وطلب أبوعبيدة ﷺ من أبي بكر ﷺ المدد،[(١)] فكتب إلى خالد بن الوليد ﷺ بالمسير من العراق إلى الشام، وإنجاد جند المسلمين فيها. ويكاد ينتهي دور أبي عبيدة ﷺ كقائد عام لأمراء الشام في عصر أبي بكر ﷺ بوصول خالد بن الوليد ﷺ قادمًا من العراق، إذ جعل له أبو بكر ﷺ الأمارة على أرجح الأقوال.[(٢)] ومن الملاحظ أن فترة ولاية أبي عبيدة ﷺ كانت قصيرة، امتدت منذ مغادرته المدينة في أوائل السنة الثالثة عشرة، حتى قدوم خالد ﷺ، الذي وصل إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة ١٣هـ.[(٣)] وهي قريب من أربعة أشهر، كانت مشحونة بالفتوح والجهاد وعدم التركيز على بلد معين.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٨.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣، ٣٤؛
الطبري، تاريخه، ج٤/٣٤؛
ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٨.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٨.

ولا يبدو نظام الإدارة واضحًا خلال هذه الفترة من ولاية أبي عبيدة ﷺ للشام، كما أن هذه الولاية لأبي عبيدة ﷺ كانت بالدرجة الأولى على جند أبي عبيدة ﷺ نفسه، إضافة إلى إمارته على الأجناد الأخرى في حال اجتماعهم. وهذا قليل قبل قدوم خالد ﷺ من العراق؛ إذ كان كل أمير يجاهد في منطقة منعزلة عن الأخرى، كما كان أبوعبيدة ﷺ خلال هذه الفترة يعقد الصلح في كثير من الأحيان مع أهل البلاد المفتوحة في الشام، ويعين عليها من قبله من يتولى أمرها. وهكذا فإن ولاية أبي عبيدة ﷺ الأولى للشام من قبل أبي بكر ﷺ ولاية غير واضحة المعالم؛ نظرًا لقصر هذه الفترة، إضافة إلى أنها فترة مشحونة بالجهاد. وكان بقية الأمراء لهم صلاحيات مشابهة لصلاحيات أبي عبيدة ﷺ نفسه، وعلى رأس هؤلاء [عمرو بن العاص] ﷺ الذي كان أبوعبيدة يوليه أحيانًا بعض المعارك في حال اجتماع

الأجناد، رغم وجود أبي عبيدة ﷺ نفسه في الجند.[(١)] ولعل هذه سياسة خاصة لأبي عبيدة ﷺ الذي اشتهر بالرحمة والتواضع والزهد.

وقد كان ضمن أمراء الشام خالد بن الوليد ﷺ، وقد وصل خالد بن الوليد ﷺ إلى الشام قبيل معركة المسلمين مع الروم في اليرموك، والذي يبدو أن أبابكر ﷺ أمَّره على المسلمين في الشام إذا قدمها.[(٢)] وقد كان كل أمير مستقلاً بمن معه من الجند حين وصل خالد ﷺ، لكن خالدًا ﷺ اقترح على الأمراء أن يجتمعوا على أمير في كل يوم بدلاً من التفرق. وتولى هو الإمارة في أول يوم من أيام اليرموك.[(٣)] ولم تدم إمارته طويلاً؛ إذ سرعان ما توفي أبو بكر ﷺ، فكأن إمارة خالد ﷺ امتدت منذ وصوله في شهر ربيع الآخر حتى وفاة أبي بكر ﷺ في جمادى الآخر، وبهذا كانت ولاية خالد ﷺ قرابة

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/٣٢.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٣٩.
(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٣٥.

الشهرين. والذي يبدو أن خالدًا ﷺ كان أميرًا لأمراء الشام، وإلا لما أصدر عمر ﷺ قرارًا بعزله وتأمير أبي عبيدة ﷺ.[(١)] وهكذا فإن ولاية خالد ﷺ للشام كانت قصيرة وغير واضحة المعالم، سوى ما كان منها في معركة اليرموك وبعض المعارك التي سبقتها. أما في البلدان فلم تكن مستقرة. كما يبدو أن كل أمير من الأمراء الآخرين كان على جنده.[(٢)] كما كانت الحال أيام أبي عبيدة ﷺ. ومن هنا فلا بد لنا من الإلمام بعجالة بأمراء الشام الآخرين الذين صاحبوا خالدًا وأباعبيدة ﷺ من قبله في الإمارة على أجزاء من الشام أيام أبي بكر ﷺ.

منهم عمرو بن العاص ﷺ وهو ضمن الأمراء الذين بعثهم أبو بكر ﷺ بالجيوش إلى الشام. وقد حدد له أبو بكر الصديق ﷺ طريقًا يسلكه؛ إذ أمره أن يسلك

(١) الواقدي، فتوح الشام، ص٨٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٣؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٣٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٧.

طريق (أيلة)[(١)] قاصدًا إلى فلسطين.[(٢)]

وقد كان عمرو ﷺ حين أراد المسير سأل أبابكر ﷺ عن ولايته، وعن حدودها، وهل هو والٍ على من يقدم عليه من المسلمين، ولكن أبابكر ﷺ أجابه بأنه الوالي على من معه من المسلمين، ومن أمر باللحاق به وأنه أحد الأمراء في الشام. أما في حالة اجتماعه مع الأمراء الآخرين فأميرهم العام هو أبوعبيدة بن الجراح ﷺ.[(٣)]

وهكذا تحددت ولاية عمرو ﷺ بمن معه، وبما يفتح من البلاد، كما وجبت عليه طاعة أمير الشام أبي عبيدة بن الجراح ﷺ مع ملاحظة أن عمْرًا ﷺ مستقل إلى حد كبير في المناطق التي يفتحها والتي عينها له أبو بكر

(١) أَيْلَة، بلد يقع على ساحل البحر الأحمر على خليج العقبة كان يقطنها يهود وتشتهر بالصيد في البحر والزراعة وهي إحدى المحطات المهمة في طريق الحج المصري قديمًا ولعلها هي ميناء إيلات في فلسطين حاليًا، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٠).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩.

(٣) الأزدي، فتوح الشام، ص٤٨.

ﷺ، حيث تركزت معظم جهود فتوحاته الأولى في فلسطين.

وقد نص بعض المؤرخين على أن أبابكر ﷺ ولى عمرًا ﷺ فلسطين،[(١)] كما أنه اشترك مع بقية قواد المسلمين في معركة اليرموك وغيرها من المعارك. وكان له دور كبير فيها. غير أن قصر الفترة بين بعث عمرو ﷺ في جيش الشام وبين وفاة أبي بكر ﷺ ـ وهي قرابة ستة أشهر ـ تجعل المعلومات المتوفرة عن ولاية عمرو بن العاص ﷺ لفلسطين خلال هذه الفترة محدودة. وهي في معظمها ولاية عسكرية بالدرجة الأولى؛ نظرًا للظروف الجهادية القائمة في بلاد الشام خلال تلك الفترة. إلا أنها تعد ولاية على جزء معين من إقليم الشام، الذي كان في الفترة الأولى من عهد أبي بكر ﷺ تحت ولاية أبي عبيدة ﷺ، وفي الفترة الثانية تحت ولاية خالد ﷺ، إلا أن شخصية

(١) الواقدي، فتوح الشام، ص١٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨؛ ابن أبي عدسة التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة ٤٧.

عمرو ﷺ كانت تظهر وتتميز عن بقية الأمراء الآخرين في الأحداث المشتركة معهم خلال هذه الفترة.[١]

وأما شرحبيل بن حسنة ﷺ[٢] فهو أحد قواد الجيوش الإسلامية التي جهزها أبو بكر ﷺ وسيرها إلى الشام في بداية السنة الثالثة عشرة من الهجرة.[١] وقد أمر أبو بكر ﷺ شرحبيل بن حَسَنة ﷺ أن يسلك طريق تبوك متوجهًا إلى الشام وخصص له الأردن.[٢] وبهذا يكون شرحبيل أول والٍ مسلم على الأردن. وقد تولاها قبل فتحها. وحينما أراد شرحبيل ﷺ مغادرة المدينة متوجهًا إلى الشام ودعه

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٣.

(٢) شرَحْبيل بن حَسَنة نسبة إلى أمه وهو من بني تميم وكان حليفًا لبني زهرة. أسلم مبكرًا وهاجر إلى الحبشة قاد أحد الجيوش إلى الشام في خلافة أبي بكر وتوفي في طاعون عمواس سنة ١٨ من الهجرة (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/٣٩٠؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/١٤٣).

(١) الأز الأزدي، فتوح الشام، ص١٥؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٣٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

أبو بكر ﷺ ونصحه وأوصاه بمن معه من المسلمين خيرًا.[١]

وقد اشترك شرحبيل ﷺ في الجهاد في بلاد الشام مع بقية الأمراء طيلة عهد أبي بكر ﷺ. وكان مختصًا ببلاد الأردن ولاية شبه منفردة، خصه بها أبو بكر ﷺ قبل خروجه من المدينة المنورة. وكانت بينه وبين أبي عبيدة ﷺ اتصالات عديدة[٢] تدل على تبعيته لأبي عبيدة ﷺ ثم لخالد ﷺ ومن بعده رغم اختصاصه بولاية الأردن.

وقد سار الأمر على ذلك طيلة عهد أبي بكر ﷺ واشترك في معارك عديدة مع بقية الأمراء من أهمها معركة اليرموك.[٣]

وأما يزيد بن أبي سفيان ﷺ[٤] فقد كان أحد الأمراء الذين وجههم أبو بكر ﷺ إلى الشام. وكان أول الأمراء

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص٧، ١٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٤.

(٣) الأزدي، فتوح الشام، ص٢١٨.

(٤) يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه واستعمله الرسول ﷺ، كان يسمى يزيد الخير. توفي في=

مسيرًا.[١] وقد أوصاه أبو بكر ﷺ حينما أراد المسير كما أوصى الأمراء الآخرين.[٢] وقد أمره أبو بكر ﷺ بجهة معينة من الشام يغزوها وجعله واليًا عليها، وحدد له طريق التبوكية (نسبة إلى تبوك) على البلقاء إلى الشام.[٣] وكان هدف يزيد ﷺ الذي حدده له أبو بكر ﷺ هو (دمشق).[٤] وقد أمده أبو بكر ﷺ فيما بعد بجيش من المسلمين جعل على رأسه معاوية بن أبي سفيان أخا يزيد ﷺ.[٥] وقد كان ليزيد دور كبير في جهاد الروم بالشام. وكانت بينه وبين أبي بكر ﷺ العديد من المراسلات بخصوص أمر الجهاد وأمور الجُند.[٦] ويبدو أن

=خلافة عمر سنة ١٨هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٢٨).

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص١٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٤؛ انظر نص الوصية في: ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، ـ بيروت: دار الفكر (د. ت)، ج١/٩٣.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٣، ١١٦.

(٥) ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة: ٤٧.

(٦) الأزدي، فتوح الشام، ص٢٧ ـ ٣١.

يزيد ﷺ لم يستطع السيطرة على المنطقة التي حددها له أبو بكر ﷺ طيلة خلافة أبي بكر ﷺ؛ نظرًا لتعاون الروم في الدفاع عنها، ولانشغال يزيد ﷺ مع بقية القواد في العديد من المعارك، حتى انتهى عهد أبي بكر ﷺ ولم تفتح دمشق.

وقد كان يزيد ﷺ أميرًا على من معه من الجند بالدرجة الأولى وعلى البلاد التي يفتحها أو يصطلح مع أهلها. كما كان تحت إمرة أبي عبيدة ﷺ حينما يجتمع القوم، كما نص على ذلك أمر أبي بكر ﷺ. ثم كان تحت إمرة خالد بن الوليد ﷺ بعد ذلك حتى انقضى عهد أبي بكر ﷺ. ويمكننا أن نعد ولاية يزيد ﷺ وغيره من أمراء الشام في عهد أبي بكر ﷺ بالدرجة الأولى ولاية حربية، إلا أنه على وجه العموم كان أحد أمراء الشام المعهود لهم من أبي بكر ﷺ بإدارة ما يفتحه من البلدان.

ونلاحظ أن الأمور لم تكن مستقرة في الشام أيام أبي بكر ﷺ؛ وذلك لظروف الجهاد والفتح في هذه البلاد خلال عهد أبي بكر ﷺ، ولهذا نرى أوجه النشاط

بالنسبة لهؤلاء الأمراء عسكرية بالدرجة الأولى، تتخللها الدعوة إلى الإسلام والقيام بأمور البلاد المفتوحة أو المصالحة.

وقد تحدث عدد من المؤلفين المحدثين عن تقسيم الولايات في عهد أبي بكر ﷺ، وعدها بعضهم (١٢) ولاية وحصروها في جزيرة العرب. وتكاد عباراتهم تتشابه بهذا الخصوص.[(١)] وقد تجاهلوا الأمصار المفتوحة حديثًا في العراق والشام. ومع علمنا بأن هذه الأمصار دخلت حديثًا في الخلافة الإسلامية، وربما قبل أشهر من وفاة أبي بكر، إلا أننا لا يمكننا أن نتجاهل هذه الولايات وإدارتها، رغم ظروف الجهاد التي تمر بها. وعلى العموم فإنه يصعب التفرقة في عصر أبي بكر ﷺ بين

(١) انظر: محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة ص٢٤؛ أكرم رسلان ديرانية، الحكم والإدارة في الإسلام، دراسة تحليلية مقارنة، ط١ ـ جدة: دار الشروق ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩، ص٨٥؛
و د. علي حسني الخربوطلي، الإسلام والخلافة، ـ بيروت: دار بيروت ١٩٦٩م، ص٩٠.

الأمراء على الجهاد (أمراء الجند) وبين أمراء الأمصار (الولاة على البلدان)؛ لأن كل واحد منهم يقوم بنفس عمل الآخر، وكذلك في السنوات اللاحقة لأبي بكر ﷺ، كما سنوضح ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* * * * *

الملامح العامة لإدارة أبي بكر ﷺ للبلدان:

لا بد من تصور الظروف العامة التي كانت تعيشها الخلافة الإسلامية في عصره. فقد كان لإعلان وفاة الرسول ﷺ وبيعة أبي بكر ﷺ ردود فعل في المناطق المختلفة، حيث كانت الردة التي نظر إليها أبو بكر ﷺ بمنظار واحد قد انتشرت في معظم أنحاء جزيرة العرب عدا القلة القليلة منها. وكان لانتشار الردة دور كبير في اضطراب مختلف البلدان، وبالتالي التأثير على جهود أمرائها، سواء في الأمصار المستقرة التي ثبتت على إسلامها؛ كمكة والمدينة والطائف، أم الأمصار التي حدثت فيها الردة؛ كاليمن والبحرين وعُمان ونجد. ومن هنا فإنه يجب علينا النظر بعناية في هذه الحوادث التي حدثت في السنة الأولى لولاية أبي بكر ﷺ، من جهاد المرتدين، ومن توجيه الجهود ـ بعد ذلك مباشرة ـ إلى الجهاد لفتح بلاد فارس والشام. وكان للولاة أيضًا دور مصاحب وسابق لهذه الجهود لا يمكن إغفاله.

كان للولاة على البلدان في البلاد المستقرة ـ كمكة

والطائف ــ وغيرها دور كبير في تجهيز المجاهدين وإرسالهم للاشتراك في الجهاد ضد المرتدين في بداية عصر أبي بكر ﷺ، كما كان للولاة دور كبير في بعث المتطوعين للجهاد في الفتوح الإسلامية في بلاد فارس والعراق وفي الشام أيضًا والاستمرار في هذه الإمدادات طوال عصر أبي بكر ﷺ.(١)

وقد اشتركت في ذلك بقية الولايات التي استقر حالها بعد القضاء على المرتدين فيها كاليمن والبحرين ونجد.

وبهذا يتضح أن الولاة على البلدان كان لهم دور كبير في تجهيز الجنود وبعثهم لجبهات الجهاد المختلفة طيلة عصر أبي بكر ﷺ.(٢)

ونحن نعرف أن عصر أبي بكر ﷺ كان قصيرًا جدًا بالمقارنة بعصور الخلفاء الراشدين الآخرين.(٣) وكان لهذا

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥.

(٢) انظر: عبدالعزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص٧٥.

(٣) امتد عصر أبي بكر لمدة سنتين وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا حسب رواية (خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢١).

العصر دور كبير في عدم وضوح هذا النظام، خصوصًا أن عصره ﷺ كان مشحونًا.

كما نلاحظ أن أبابكر ﷺ كان ينظر إلى حسن اختيار الرسول ﷺ للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل. ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول ﷺ الذين توفي ﷺ وهم على ولاياتهم، ولم يعزل أحدًا منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه؛ كما حدث لعمرو بن العاص ﷺ.(١)

اختياره للأمراء والعمال:

في مجال الاختيار للعمال نجد أنه ﷺ يشاور الكثير من الصحابة قبل اختيار أحد من الأمراء؛ سواء على الجند أم على البلدان. ونجد أن في مقدمة مستشاري أبي بكر ﷺ في هذا الأمر عمر بن الخطاب وعليًا بن أبي طالب ﷺ وغيرهما.(٢) كما كان أبو بكر ﷺ يشاور

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٢.

الشخص الذي يريد توليته قبل أن يعينه، وعلى وجه الخصوص إذا أراد أن ينقل الشخص من ولاية إلى أخرى، كما حدث حينما أراد أن ينقل عمرو بن العاص ﷺ من ولايته التي ولاه عليها الرسول ﷺ إلى ولاية جند فلسطين، فلم يصدر أبو بكر ﷺ قراره إلا بعد أن استشاره وأخذ منه موافقة على ذلك.(١) كذلك الحال بالنسبة للمهاجر ابن أمية ﷺ الذي خيره أبو بكر ﷺ بين اليمن أو حضرموت، فاختار المهاجر بن أمية ﷺ اليمن فعينه عليها.(٢)

ومن الأمور التي سار عليها أبو بكر ﷺ أنه كان يعمل بسنة النبي ﷺ في تولية بعض الناس على قومهم إذا وجد فيهم صلحاء، كالطائف وبعض القبائل.(٣)

وكان أبو بكر ﷺ عندما يريد أن يعين شخصًا على ولاية يكتب للشخص المعين عهدًا له على المنطقة التي

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٦، ٢٧٦؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٦.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٨.

ولاه عليها.[(١)] كما أنه أحيانًا قد يحدد له طريقه إلى ولايته وما يمر عليه من أماكن، خصوصًا إذا كان التعيين مختصًا بمنطقة لم تفتح بعد، ولم تدخل ضمن سلطان الدولة. نجد ذلك متمثلاً في تحديد مناطق الأمراء الذين بعثهم أبو بكر ﷺ إلى الشام، وكذلك الحال بالنسبة لخالد بن الوليد وعياض بن غنم ﷺ حينما بعثهما أبو بكر ﷺ إلى العراق، وحدد لكل منهما طريقًا يسير عليه. وكان أبو بكر ﷺ واثقًا من أن جميع هؤلاء الأمراء سيصلون إلى أهدافهم المحددة.

وكان أبو بكر ﷺ يعتمد على خبرات الأمراء والولاة الذين سبق تجربتهم في بعض المناطق، فيصدر أوامره بنقل بعض الولاة والأمراء من منطقة لأخرى حسبما تقتضيه المصلحة العامة للدولة، فنجد أنه أمر خالدًا ﷺ بترك العراق والتوجه إلى الشام، وعينه أميرًا بها، كما نقل عمرو بن العاص ﷺ من ولايته على عمان إلى الشام ـ

(١) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: وزارة الثقافة (د. ت)، ج١٠/١٩٢.

كما مرَّ ذكره ـ، وكذلك الحال بالنسبة لبعض ولاة اليمن.

وقد كانت هذه التنقلات بالدرجة الأولى لمصلحة عامة يراها أبو بكر ﷺ، ولتوفر الخبرات الجيدة عند هؤلاء الولاة المنقولين التي لا تتوفر في غيرهم. وقد اضطر أبو بكر ﷺ لربط بعض الأمراء ببعض، وبالتالي الحد من سلطات الأمير السابق أو ضم سلطاته إلى الأمير الجديد، كما حدث للمثنى بن حارثة ﷺ في العراق، حينما أمره أبو بكر ﷺ أن ينضم تحت لواء خالد بن الوليد ﷺ عندما يصل للعراق، ولكن أبابكر ﷺ أمر خالدًا ﷺ حينما أراد أن يغادر إلى الشام بإعادة الإمارة مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة ﷺ.(١)

كما قام أبو بكر ﷺ أحيانًا بضم بعض الولايات إلى بعض، خصوصًا بعد نهاية المرتدين ﷺ؛ فقد ضم أبو بكر ﷺ كندة إلى زياد بن لبيد البياضي ﷺ، وكان

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٨؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢٣.

واليًا على حضرموت، واستمر بعد ذلك واليًا لحضرموت وكندة.[١]

وحينما ننظر لمعاملة أبي بكر ﷺ للولاة نرى أن معاملته معهم كانت تتسم بالاحترام المتبادل، الذي لم تشبه شائبة، وحينما نحاول أن نحصر حوادث العزل للولاة أيام أبي بكر ﷺ نجدها تكاد تكون معدومة، سوى ما ذكرناه من نقل الولاة من مكان لآخر. وهذه ليست من العزل في شيء، غير أننا نجد حادثة عزل خالد ابن سعيد بن العاص ﷺ من إمارة أحد جيوش الشام، بعد أن عينه الصديق ﷺ عليه، ولم يكتف بالسكوت عند عزل خالد بن سعيد ﷺ، فقد أوصى به الأمير شرحبيل بن حسنة ﷺ ووصفه بأنه كان أحد ولاة الرسول ﷺ وأنه ما عزله عن تقصير، ولكن عسى أن يكون ذلك خيرًا له في دينه.[٢]

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٣٧٠.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

وقد قيل: إن خالد بن سعيد ﷺ هو الذي استعفى أبابكر ﷺ من الولاية وأنه أعفاه.(١)

والاتصالات بين الولاة وبين الخليفة أبي بكر ﷺ كانت تجري بصفة دائمة. وكانت هذه الاتصالات تختص بمصالح الولاية ومهام العمل. فقد كان الولاة كثيرًا ما يكتبون لأبي بكر ﷺ في مختلف شئونهم يستشيرونه، وكان أبو بكر ﷺ يكتب لهم الإجابة على استفساراتهم، أو يوجه لهم أوامره. وكانت الرسل تأتي بالأخبار من الولاة سواء أخبار الجهاد على جبهات العراق والشام، وقبل ذلك على جبهات حروب المرتدين. كذلك كان الولاة يبعثون بأخبار ولاياتهم من تلقاء أنفسهم للصديق ﷺ ليتابعها.

وبالإضافة للاتصال مع الخليفة وتوجيهاته كان الولاة يتصل بعضهم ببعض عن طريق الرسل أو الاتصال المباشر واللقاءات. وتتمثل هذه اللقاءات والاتصالات بالدرجة

(١) الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص٧.

الأولى بين ولاة اليمن وحضرموت بعضهم مع بعض وولاة عُمان والبحرين. وكذلك الحال بالنسبة لولاة الشام، الذين كانوا كثيرًا ما يجتمعون لتدارس أمورهم العسكرية بالدرجة الأولى.

كان أبو بكر ﷺ يحث الولاة على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وكانت بعض هذه النصائح تصدر على شكل كتب عامة رسمية من الخليفة نفسه إلى مختلف الولاة وأمراء الأجناد.

وهذا مثال على أحد الأوامر العامة التي صدرت في عهد أبي بكر ﷺ:

((بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد أبي بكر عبدالله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ إلى جميع أمراء الأجناد. إني أوصيكم بتقوى الله أن لا تغلو ولا تفسدوا ولا تطغوا ولا تعقروا بهيمة ولا تذبحوا شاة لا تريدون أكلها ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ، ولا تعرضوا لهم إلا بسبيل خير. وستجدون آخرين من

حـزب الشـيطان في أواسـط رؤوسـهم أفـاحيص[١] فـإذا وجدتم أولئك فاضربوهم بالسيوف ضربًا، هذه وصاتي لكم وعهدي إليكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))[٢].

وهـذه الوصـية ليسـت سـوى مثـال علـى العديـد مـن الوصايا التي كان يرفعها أبو بكر ﷺ إلى مختلف الولاة وأمراء الأجناد والأمصار، وبها من التعليمات والأوامر ما يطـول شـرحه. ويضـاف إلى هـذه التعـاميم العديـد مـن التعليمـات الخاصـة ببعض الـولاة والأمـراء، الـتي كانـت تصـدر عـن الخليفـة في كـثير مـن الأحيـان؛ لتحفـز الـولاة علـى العمـل والتنـافس في البـر والجهـاد، مثلمـا كـان أبـو بكـر ﷺ يكتـب لخالـد ولعيـاض بـن غـنم ﷺ أثنـاء فتوحهما في العـراق.[٣] كـذلك مـن الملاحـظ أن الولايـة في

(١) الأَفاحيْص: جمع أُفْحُوص، وهو الموضع الذي تعمله الطير لتبيض وتفـرخ فيـه، فيقـال: مفحـص القطـاة ومفحـص الدجاجـة، (ابـن منظور، لسان العرب ج٧/٦٣).

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٢١.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢١.

أيام أبي بكر ﷺ كانت تمتد بامتداد الفتوح، فكلما سيطر أمراء الأجناد على مناطق في بلاد الفتح في الشام أو العراق كانوا يعينون عليها من جندهم من يقوم بإدارة شئونها وتنظيم أمورها وتعليم الناس دين الإسلام، إضافة إلى اختيارهم لمن يقوم بالقضاء في هذه الأمصار.(١)

وأما مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ فكانت بالدرجة الأولى امتدادًا لصلاحياتهم في عصر الرسول ﷺ، خصوصًا الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول ﷺ.

ويمكن القول: إن أهم مسئوليات الولاة في عصر أبي بكر ﷺ هي:

- إقامة الصلاة وإمامة الناس، وهي المهمة الرئيسة لدى الولاة؛ نظرًا لما تحمله من معان دينية ودنيوية وسياسية واجتماعية، حيث الولاة يؤمون الناس، وعلى وجه الخصوص في صلاة الجمعة. والأمراء دائمًا كانت

(١) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص٣٠٩.

توكل إليهم الصلاة، سواء كانوا أمراء على البلدان أم أمراء على الأجناد.

- الجهاد كان يقوم به أمراء الأجناد في بلاد الفتح، فكانوا يتولون أموره وما فيه من مهام مختلفة بأنفسهم، أو ينيبون غيرهم في بعض هذه المهام، كتقسيم الغنائم أو المحافظة على الأسرى أو غير ذلك، وكذلك ما يتبع هذا الجهاد من مهام أخرى، كمفاوضة الأعداء وعقود المصالحة معهم وغيرها. ويتساوى في المهمات الجهادية أمراء الأجناد في الشام والعراق، وكذلك الأمراء في البلاد التي حدثت فيها الردة كاليمن والبحرين وعُمان ونجد؛ نظرًا لوجود تشابه في العمليات الجهادية، مع اختلاف الأسباب الموجهة لهذه العمليات.

- إدارة شئون البلاد المفتوحة، وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم، وبقرار من الخليفة أبي بكر ﷺ، أو تعيين منه ﷺ عن طريق هؤلاء العمال.

- كذلك فإن من الأمور التي كانت توكل للولاة

عمومًا أخذ البيعة للخليفة، فقد قام الولاة في اليمن وفي مكة والطائف وغيرها بأخذ البيعة لأبي بكر رضي الله عنه من أهل البلاد التي كانوا يتولون عليها.(١)

- هناك أمور مالية توكل إلى الولاة أو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي بأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، أو أخذ الجزية من غير المسلمين وصرفها في محلها الشرعي. وهي امتداد لما قام به ولاة الرسول ﷺ في هذا الخصوص.

- تجديد العهود القائمة من أيام الرسول ﷺ، حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين الرسول ﷺ وأهلها بناء على طلب نصارى نجران.(٢)

كانت من أهم مسئوليات الولاة إقامة الحدود وتأمين البلاد. وهم يجتهدون رأيهم فيما لم يكن فيه نص

(١) انظر، البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٠.
(٢) الطبري، تاريخه، ج١٦٥/٣.

شرعي؛ حيث نجد أن المهاجر بن أمية ﷺ أدَّب امرأتين تغنتا بذم الرسول ﷺ وفرحتا بوفاته، وكتب إلى أبي بكر ﷺ في ذلك فأقره وامتدحه على هذا العمل.(١)

- كان للولاة دور رئيسي في تعليم الناس أمور دينهم وفي نشر الإسلام في البلاد التي يتولون عليها. وكان الكثير من هؤلاء الولاة يجلسون في المساجد يعلمون الناس القرآن الكريم والأحكام؛ وذلك عملاً بسنة الرسول ﷺ. وتعد هذه المهمة من أعظم المهام وأجلها في نظر الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر ﷺ، وقد اشتهر عن ولاة أبي بكر ذلك، حيث يتحدث أحد المؤرخين عن عمل زياد بن لبيد ﷺ والي أبي بكر ﷺ على حضرموت فيقول: (فلما أصبح زياد غدا يقرئ الناس كما كان يفعل قبل ذلك).(٢)

---

(١) انظر كتابي: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص٦٠.

(٢) الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ص١٩٣.

وبهذا التعليم كان للولاة دور كبير في نشر الإسلام في ربوع البلاد التي يتولونها. وبهذا التعليم أيضًا تثبت أقدام الإسلام، سواء في البلاد المفتوحة الحديث عهد بالإسلام أم في البلاد التي كانت مسلمة وارتدت، وهي حديثة عهد بالردة جاهلة بأحكام دينها. إضافة إلى أن البلاد المستقرة كمكة والطائف والمدينة كان بها من يُقرئ الناس من الولاة أو الخليفة نفسه، أو من يعينه الخليفة على التعليم في هذه البلدان.

وقد كان الوالي هو المسئول مسئولية مباشرة عن إدارة الإقليم الذي يتولاه، وفي حالة سفر هذا الوالي فإنه يتعين عليه أن يستخلف أو ينيب عنه من يقوم بعمله حتى يعود إلى عمله. ومن ذلك أن المهاجر بن أمية رضي الله عنه عينه الرسول ﷺ على كندة، ثم أقره أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ ـ كما مرَّ ذكره ـ ولم يصل المهاجر رضي الله عنه إلى اليمن مباشرة وتأخر؛ نظرًا

لمرضه فأرسل إلى [زياد بن لبيد] ﷺ ليقوم عنه بعمله حتى شفائه وقدومه، وقد أقر أبو بكر ﷺ ذلك.(١)

كذلك كان خالد ﷺ أثناء ولايته للعراق ينيب عنه في الحيرة من يقوم بعمله حتى عودته.(٢)

وثمة ملاحظة جديرة بالانتباه، وهي أننا حينما ندرس سيرة ولاة أبي بكر ﷺ نجد أن الشكاوى ضد ولاة أبي بكر ﷺ تكاد تكون معدومة. ويذكر لنا المؤرخون من الشكاوى ضد ولاة أبي بكر ﷺ أن رجلاً من اليمن قدم إلى المدينة فشكى إلى أبي بكر ﷺ أن أحد ولاة اليمن قطع يده في سرقة وهو مظلوم، وشاهد أبو بكر ﷺ الرجل يصلي في الليل، فترجح له أنه مظلوم. ثم حدثت سرقة من بيت أبي بكر ﷺ نفسه، وتبين أن هذا الرجل هو السارق، فلم يلتفت أبوبكر ﷺ لشكايته،(٣) وعرف أنه كذاب.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧١.

(٢) المصدر السابق، ٤/٢٣.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/٩٨.

وولاة أبي بكر ﷺ كانوا يقومون بسياسة البلدان التي يولون عليها، وتدبير أمورها وإقامة حدود الله فيها.

وكان الولاة نوابًا عن الخليفة في إدارة شؤون الولايات أو الأمصار، فقاموا بواجبهم خير قيام.

إن الإنسان ليعجب لعظيم إنجاز الصديق ﷺ في فترة قصيرة جدًّا، حيث عَدّ المؤرخون فترة خلافته بسنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام،[(١)] وما أعظمها وأكثرها بركة في تاريخ البشرية جمعاء.

* * * * *

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١/٤١٩.

رعايته ﷺ لآل بيت النبي ﷺ:

كان أبو بكر الصديق ﷺ من أعظم المسلمين رعاية لحق قرابة رسول الله وأهل بيته، كما قال تعالى: ﴿...قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ ٢٣﴾ [الشورى].

وفي الصحيحين عن سعيدبن جبير ﷺ قال: ((سئل ابن عباس ﷺ، فقال: أن لا تؤذوا محمدًا في قرابته..))[(١)].

ومن كمال محبة النبي ﷺ الود والحب لأهل بيته؛ إذ كانت رعاية أهل بيته مما أمر الله ورسوله به. وفي الصحيح أنه ﷺ خطب أصحابه بغدير يدعى خمًا بين مكة والمدينة فقال: ((اذكركم االله في أهل بيتي))[(٢)].

وفي السنن أنه ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمنون

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ((إلا المودة في القربى))، ج٦/٣٧؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٦٧.

(٢) من رواية مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ج٧/١٢٣.

حتى يحبوكم))[(١)].

وكان الصديق ﷺ يقول: ((ارقبوا محمدًا في أهل بيته))[(٢)].

وقال ﷺ: ((والله لقرابة رسول الله أحب إليَّ أن أصل من قرابتي))[(٣)].

وكان ﷺ مكرمًا لعلي وبنيه ﷺ وسائر بني هاشم يقدمهم على سائر الناس.

وقد ذهب الصديق ﷺ وحده إلى بيت علي ﷺ، وعنده بنو هاشم، فذكر لهم فضلهم وذكروا له فضله وبايعوه وهو عندهم، فهذا غاية الإكرام لهم منه وله منهم.

---

(١) انظر: مسند أحمد، ج١/٢٠٧ ـ ٢٠٨؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٦٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة ﷺ بنت النبي ﷺ، ج٤/٢١٠.

كانت علاقة أبي بكر ﷺ بعلي ﷺ حسنة فمنذ بداية البعثة كانا معًا حول رسول الله ﷺ، رغم فارق السن بينهما، مصليان داعيتان بينهما من التوافق ما الله به عليم. وعند الهجرة كان لكل منهما دوره، فأبو بكر ﷺ صحب الرسول ﷺ، وعلي ﷺ بات في فراشه. فهذا تكامل بينهما لا تنافسًا ولا تعارضًا.

وكان علي ﷺ يستن بأبي بكر ﷺ، ويشير بما كان عليه من سلوك وعمل، وخصوصًا بعد استخلافه. فقد ورد عن علي ﷺ أنه قال بعد أن طُلب منه أن يستخلف: ((ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم)).(١)

وقد روي عن علي بن أبي طالب ﷺ يقول: ((قُبِضَ رسول الله ﷺ على خير ما قُبِضَ عليه نبي من الأنبياء،

(١) انظر: تخريجه عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٣.

قال: ثم أستُخلف أبو بكر فعمل لعمل رسول الله ﷺ وبسنته، ثم قُبِضَ أبو بكر على خير ما قُبِضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ثم أُستُخلف عمر فعمل بعملهما وسنتهما، ثم قُبِضَ على خير ما قُبِضَ عليه أحد. وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وبعد أبي بكر))[(١)].

كما ورد عن محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين))[(٢)].

ويؤكد ابن كثير أن علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام رضي الله عنهما قد بايعا الصديق رضي الله عنه في اليوم الأول مع

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٣٠، رواية رقم: ٥٢٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٥.

المسلمين، ولم يتخلفا عن بقية المسلمين. ويستدل بذلك على شهود علي ﷺ الصلاة مع أبي بكر الصديق ﷺ منذ وفاة الرسول ﷺ، بل وقبل ذلك لم ينقطع عن الصلاة خلف الصديق ﷺ على الإطلاق. وخرج معه في أول غزوة غزاها بعد وفاة الرسول ﷺ إلى ذي القصة لقتال أهل الردة.(١) وصدق في أبي بكر وعلي ﷺ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾[المائدة]، فكانوا يحبون الله ويجاهدون في سبيله.

وقد جدد علي بن أبي طالب ﷺ البيعة لأبي بكر الصديق ﷺ بعد ستة أشهر مرة أخرى، وذلك بعد وفاة فاطمة ﷺ؛ وذلك للتأكيد على رضاه وحسن العلاقة بينهما ﷺ ونفي ما يشاع من خلاف ذلك.

وكان الصديق ﷺ محبًا للحسن والحسين ﷺ. وقد

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٩٨.

رأى أبو بكر الصديق ﷺ الحسن بن علي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ وهو يمشي يلعب مع الصبيان فحمله وقال: ((بأبي شبيه النبيّ ليس شبيهًا بعلي، وعلي ﷺ يضحك)).(١)

وقد تكلم الكثيرون من كارهي الصدّيق وصاحبه ﷺ عن خلاف بين فاطمة وبين أبي بكر ﷺ متناسين قوله ﷺ: ((فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)).(٢) ولا شك أن الصديق ﷺ يعي قول النبي ﷺ ويقدره ويعمل به في حق فاطمة ﷺ. ولا ننسى أن أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق ﷺ هي من غسلت فاطمة ﷺ عند وفاتها بوصية من فاطمة ﷺ نفسها. وذكروا أن ذلك الخلاف مرده إلى حرص فاطمة على الأموال، وخصوصًا النخيل التي تركها الرسول ﷺ عند وفاته صَدَقَةً.

وحاشا لله أن تكون فاطمة الزكية الطاهرة العفيفة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، ج٤/٢١٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٦٧.

الزاهدة ﷺ كما زعموا، فما كانت فاطمة ﷺ من أهل الدنيا ولا تهتم بها أو تجعلها أكبر همها كما صور هؤلاء. وهي التي أخبرها النبي ﷺ بقرب رحيلها، وأنها أول من يلحق به بعد موته. فحاشا لله أن تكون فاطمة سيدة نساء العالمين ﷺ مهمومة بالمال أو الإرث والمزارع، كما يصورها هؤلاء. فكيف يُنسب لها هذا مع علمها بقرب موتها ﷺ؟

وقد ورد عن عروة بن الزبير عن عائشة ﷺ: أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ فيما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة رسول الله ﷺ التي بالمدينة وفَدَك وما بقي من خُمُس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: ((لا نورَث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال))،[1] يعني مال الله ليس

(١) من رواية البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: ((لا نورث ما تركناه صدقة))، ج٣/٨؛ وانظر: تفصيلات أكثر عند: الصلابي، علي بن أبي طالب ﷺ، ص١٥٤، وقارن بابن شبة، في تاريخ المدينة، ج١٩٦/١.

لهم أن يزيدوا على المأكل، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقات النبي ﷺ. ولأعملنّ بما عمل به رسول الله ﷺ، ولست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ، فتشهد عليّ ثم قال: إنا عرفناك يا أبا بكر فقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصِلَ من قرابتي وأوسع منه.(١)

وقد طابت نفس فاطمة رضي الله عنها حينما سمعت قول الصدّيق رضي الله عنه وما أشار إليه من قوله ﷺ: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)).(٢) ومن الثابت وجود ورثة آخرين، منهم العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ، وهو الذي يعصبه. ومنهم بقية زوجات النبي ﷺ، اللائي لم نسمع أن وحداةً منهنّ طالبت بميراث مادي. والرسول ﷺ لم يترك

---

(١) من رواية البيهقي، في السنن الكبرى، ج٦/٣٠٠، وفي دلائل النبوة، ح رقم ٣٢٧٦؛ انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢١؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، ج٤/٤٢.

مالاً بل ترك دينًا، وأما فدك وخيبر فهي صدقة كما أشار أبو بكر ﷺ.

وفاطمة ﷺ أكبر وأعظم من أن يكون همها ميراث مال دنيوي، وقد علمت أنها لن تبقى بعد الرسول ﷺ سوى بضعه أشهر. فتلك تهمة باطلةٌ فاطمة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ منها بريئة.

وقد ذكر في روايات أخرى أن أبا بكر، ومن بعده عمر ﷺ طلبا من علي ﷺ تسلُّم تلك النخيل في فدك وخيبر، على أن يعمل بها كما يعمل رسول الله ﷺ في الصدقة منها، فرفض علي ﷺ تسلُّمها لا احتجاجًا عليهما، ولكن اقتناعًا وثقةً بما كان الخليفتان يقومان فيها وعملهما في تصريفها.(١)

وقد ورد عند البخاري: ((فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس، فأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر، وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانت لحقوقه

(١) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢٠٤، ٢٠٧.

التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من وَلِيَ الأمر)).[1]

* * * * *

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب فرض الخمس ــ قصة فدك، ج٤/٤٢؛ وانظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢٠٤و٢٠٧، الخمس.

استخلافه لعمر ﷺ[(١)]:

كانت هناك بعض المؤشرات في استخلاف عمر ﷺ بعد الصديق ﷺ وعن ابن أبي مليكلة قال: قال: ((سمعت عائشة وسُئِلَت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح))[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((بيْنا أنا نائِمٌ رَأَيْتُنِي علَى قَلِيبٍ عليها دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْها ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أخَذَها ابنُ أبِي قُحافَةَ فَنَزَعَ بها ذَنُوبًا أوْ ذَنُوبَيْنِ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، واللَّهُ يَغْفِرُ له ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحالَتْ غَرْبًا، فأخَذَها ابنُ الخَطَّابِ فَلَمْ أرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ

---

(١) انظر: علي الصلابي، أبو بكر الصديق ﷺ، ص٤٧٣ ـ ٤٧٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق، ج١٠٩ ـ ١١٠.

نَزْعَ عُمَرَ، حتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بعَطَنٍ)).[١] ومعنى (في نزعه ضعف): كناية عن قصر مدة خلافته.

عند مرض الصديق ﷺ واشتداده[٢] خشي على الأمة من الاختلاف فقال: ((إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتًا، وقد أطلق الله يمانكم من بيعتي وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم فأمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي))[٣].

وتشاور الصديق ﷺ مع الصحابة ﷺ فيما بينهم ثم رجعوا إليه فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

فدعا الصديق ﷺ عبدالرحمن بن عوف ﷺ فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال له: ما تسألني عن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب نزع الذَّنُوب والذَّنوبين من البئر بضعف، ج٨/٧٨.

(٢) البداية والنهاية، ج٧/١٨؛ تاريخ الطبري، ج٤/٢٣٨.

(٣) التاريخ الإسلامي، ج٣/٩٥.

أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإِنْ، فقال عبدالرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان بن عفان ﷺ، فقال: أخبرني عن عمر ابن الخطاب، فقال: أنت أخبرنا به، فقال: على ذلك يا أبا عبدالله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدتك.

كما استشار أسيد بن حضير ﷺ وسعيد بن زيد ﷺ وعددًا من الأنصار والمهاجرين، وكلهم برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيدالله ﷺ فإنه خاف من شدته.

وقال لأبي بكر الصديق: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبا الله تخوفونني؟ قال: أقول: اللهم استخلفت عليهم خيرَ أهلك.[1]

---

(١) الكامل لابن الأثير: ج٢/٤٢٥.

وبيَّن فقال: ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه.[١]

ثم كتب أبو بكر الصديق ﷺ عهدًا مكتوبًا يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار عن طريق أمراء الأجناد، فكان نص العهد:

((بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدَّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}))[٢].

---

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٢٥.

(٢) السيوطي، تاريخ الإسلام، ص٧٧؛
البلاذري، أنساب الاشراف، ج٨/١٤٥.

وفي رواية: أن أبا بكر ﷺ أشرف على الناس وهو يقول: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا.(١)

قال رسول الله ﷺ: ((إيْهًا يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك)).(٢)

* * * * *

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤/٥١.

(٢) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ج٤/١٩٩.

وصيته ووفاته ﷺ:[١]

مرض أبو بكر الصديق ﷺ مرضه الأخير. وكان مرضه خمسة عشر يومًا، وذلك قريب من مرض رسول الله ﷺ، أمر فيها عمر ﷺ بالصلاة بالناس.[٢]

وقد مرَّضته ابنته عائشة ﷺ، مع زوجته أسماء بنت عميس ﷺ.[٣]

عن عائشة أمّ المؤمنين ﷺ قالت: لما اشتد مرض أبى بكرٍ بكيت وأغمى عليه، فقلت من لا يزال دمعه مقنعًا فإنه من دفعه مدفون، فأفاق فقال: ليس كما قلت يا بنية ولكن: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ.[٤] ثمّ سأل عن يوم وفاة رسول الله ﷺ فأخبرته

---

(١) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٨٣، عنوان: (وفاة أبي بكر الصديق).

(٢) انظر: حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ج٢/٦٠٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٧٢.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢/١٧٥٧.

عائشة أنّه كان يوم الإثنين، وسألها عن يومه هذا، فأخبرته أنّه الإثنين، فرغبَ لو يُقبض فيه، وسألها عن كفن رسول الله ﷺ فأجابته أنّ النّبيّ كُفّن في ثلاثة أثواب يمنيّة بيض جديدة ليس فيها قميص ولا عمامة، فأمر ﷺ بغسل ثوبه وأن يُكفّن فيه مع ثوبين جديدين.(١)

وقد تولى تغسيله ﷺ زوجته أسماء بنت عميس ﷺ. وهذا دليل على حرصه على عدم اطلاع الآخرين على جسده سوى زوجته. وكان عمره حين وفاته ثلاثًا وستين سنة.(٢)

وكان لوفاته ﷺ تأثير على أهل المدينة وكل

(١) الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج١٢/٥٣٦، ٥٣٧، رواية برقم: ٣٥٧٢٣؛ وانظر: الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤/٤٧٦، وفاة أبي بكر ﷺ؛ وحامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ج٢/٦٠٩؛ والنجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص٣٨٨.

(٢) انظر: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج١١/ ٢٦١؛ وحامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ج٢/٦٠٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨/١٧٢.

المسلمين، وكان من أشد المتأثرين لوفاته المثنين عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[(١)]

روي أنه لما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يستخلف عمر بعث إليه فدعاه، فقال: إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن التقى أمر محفوظ ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط به عمله فإن أنت وليت أمرهم فإن استطعت أن تجف يدك من دمائهم وأن تضمر بطنك من أموالهم وأن تجف لسانك عن أعراضهم فافعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.[(٢)]

ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: (((إني قد

---

(١) انظر: حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ج٢/٦٠٥.

(٢) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، كتاب الخلافة، باب الاستخلاف ووصية المتولي، ج٥/١٩٧.

استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ))) وأوصاه بتقوى الله ثم قال:

((يا عمر إن لله حقًا بالليل ولا يقبله في النهار، وحقًا في النهار ولا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة. ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدًا إلا حق أن يكون ثقيلاً. ألم تر يا عمر أنما خفّت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفَّته عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفة. ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وأية الشدة مع آية الرخاء. ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهبه رهبة يلقي فيها بيديه. ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون منهم وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم فإذا حفظت وصيتي

فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزة))[(١)].

وذكر من أوقاف أبى بكر الصديق ﷺ عنه أنه حبس رباعًا (دارًا) له كانت بمكة، وتركها وقفًا عَلَى وَلَدِهِ[(٢)].

ولم يترك ﷺ سوى عبد وقطيفة وناضح وأرض أمر أن توضع في مال المسلمين، نظير ما أخذه من مرتب أثناء خلافته، فهو يرى أن عمله صدقة على المسلمين[(٣)].

وكان آخر ما تكلمَّ به الصديق ﷺ: ((رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين))[(٤)].

وقد نال ﷺ شرف الدفن بجوار رسول الله ﷺ

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢/٤٢٦.

(٢) انظر: البيهقي، السنن الكبير، كتاب الوقف، باب الصدقات المحرمات، ج١٢/٢٦٦، ح برقم: ١٢٠٢٢.

(٣) انظر: حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ج٢/٦١٨.

(٤) انظر: ابن النجار الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص٣٩٢.

مباشرة، في الحجرة الشريفة فكانت رفقة القبر مع صحبة الحياة للمصطفى ﷺ.[١]

* * * * *

(١) انظر: حامد محمد الخليفة، إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ، ج٢/٧٣.

مدة خلافته ﷺ:

مدة خلافة أبي بكر ﷺ كانت قصيرة جدًا إذا قيست بمقاييس الزمن، وإذا قورن بغيره ممن تولوا الخلافة. وقد استقرت فيها أحوال الأمة بعد مخاض الردة، بل وامتدت لأماكن جديدة في مناطق حضارية لدول عالمية معاصرة. لا شك أن هذا الامتداد وهذه الفورة العظيمة في المد الإسلامي كان الفضل فيها بعد الله ﷻ لأبي بكر الصديق ﷺ تلميذ رسول الله ﷺ، ومن معه من أصحاب النبي ﷺ. ويرجع لهم الفضل بإيصال الإسلام إلى تلك الأصقاع بالتخطيط والعمل الدؤوب، والتضحية والفداء.

إن الإنسان ليعجب لعظيم إنجاز الصديق في فترة قصيرة جدًّا، حيث عَدّ المؤرخون فترة خلافته بسنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام،[(١)] وما أعظمها وأكثرها بركة في تاريخ البشرية جمعاء.

---

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١/٤١٩.

نظرة الأمة لأبي بكر ﷺ:

الأمة جمعاء تتبع ما ورد في سنة رسول الله ﷺ، ولذلك فهي تعتبر الصديق ﷺ أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ. ولعل الأبواب التي وضعها المحدثون وأصحاب السنن، كما فعل البخاري وغيره، تبين مدى اهتمام الأمة بسيرته ﷺ،[(١)] وتكشف عن مكانته.

وكان السلف وما تزال الأمة يعلمون أبناءهم جيلاً بعد جيل سيرة الصديق ﷺ ومحبته وفضله.[(٢)]

وروى البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ قالت: ((قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادعي لي أبا بكرٍ وأخاك حتى اكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)).[(٣)]

---

(١) انظر: فضائل الصحابة عند البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩١؛ وباب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٢.

(٢) انظر: الإمام أحمد بن حنبل، كتاب فضائل الصحابة، ج١/٦٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج٧/١١٠.

وألفت في ذلك كتب بهذا المعنى، من ذلك، الدكتور حامد محمد الخليفة، حيث ألف كتابًا عن إمامته للأمة. بعنوان: "إمام الأمة وقائدها، خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه".

وزنجويه، أبو بكر محمد بن حاتم، كتاب: "الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق" وغيرهم كثير.

وقد أُمرنا أن نقتدي به رضي الله عنه، وهو صاحب الأخلاق العالية، التي يحبها كل مسلم، سباق للخير، أمرنا بالاقتداء به، كما قال ﷺ: ((اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر))[1].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٤٠٢؛
والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، ج٥/٦٠٩؛
وابن ماجه في صحيحه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج١/٣٧، ح برقم: ٩٧؛
وصحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ج٤/١٩٢.

والمطلع على تراجم الصحابة رضي الله عنهم في الكتب المتخصصة، يدرك مدى تقدير الأمة للصديق رضي الله عنه، ولعل أكثر الأمة تقديرًا له من درس سيرته وعرف أعماله رضي الله عنه.[1]

* * * * *

(١) انظر: المؤلفات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في التمهيد من هذا الكتاب، ص٦.

خاتمة:

- ينبغي للأمة جمعاء تقدير أبي بكر الصديق ﷺ، ومعرفة حقه الذي أشار إليه ﷺ في قوله ﷺ: ((أيها الناس اعرفوا لأبي بكر حقه؛ فإنه لم يسؤني قط))[(١)].
- تأكد بيان فضل الصحابة ودينهم وتقديمهم الصديق ﷺ على غيره، فهو أفضلهم ﷺ.
- اتضح سبق الصديق في النفقة من ماله على الرسول ﷺ وعلى صحابته، وخصوصًا المستضعفين، حيث كان يشتريهم من حر ماله ويعتقهم ﷺ.
- أن من يطعن في أبي بكر ﷺ قد تجاهل وتناسى الأدلة على فضله، ومنها ما ورد عن علي ﷺ وغيره من آل البيت، وهو إنما أراد القدح بمن زكاه رسول الله ﷺ وبالتالي القدح برسول الله، وبعائشة أم المؤمنين ﷺ.

---

(١) انظر: المؤلفات عن أبي بكر الصديق ﷺ في التمهيد من هذا الكتاب، ص٦.

- أن الصديق ﷺ صحب الرسول ﷺ مبكرًا في مكة قبل البعثة النبوية بزمن طويل، وتجانست قلوبها، وتشابهت صفاتهما وأخلاقهما، مما أوجد تألفًا ومحبة خاصة بينهما ليس لها مثيل. وكان مع رسول الله ﷺ مجاورًا في المدينة، مرافقًا له في كل غزواتها ورحلاته.
- أن الرسول ﷺ اختاره للحج بالناس بعد فتح مكة حين لم يشهد أول حجة بعد الفتح ﷺ.
- أن الحديث عن الصديق يستند على بعض الآيات القرآنية التي نزلت فيه وعلى الأحاديث النبوية الصحيحة، وعلى ما عرف عنه من سلوك وسيرة في حياة رسول الله ﷺ وبعده.
- أن الدولة الإسلامية انطلقت بعد رسول الله ﷺ، حيث تمكن الصديق بصدقه وسياسته للأمة من القضاء على المرتدين، وبداية الفتوح في أصقاع الأرض وما جاور بلاد العرب لنشر الإسلام.

- أن رسول الله ﷺ وضع إشارات لاستخلاف الصديق رضي الله عنه من بعده، حيث جعله إمامًا للصلاة بالمسلمين في مرضه ﷺ وأصر على ذلك. وهذا التقديم كان له ما بعده من استخلاف المسلمين له وتقديمه على غيره. وأثبتت الحوادث حسن استخلافه وسبقه الآخرين فيما أنقذ الله به المسلمين من أهل الردة والدول الكبرى المجاورة، وخصوصًا فارس والرم، التي بادر رضي الله عنه في الفتوح في أراضيهما.

- أنه رضي الله عنه حين تولى الخلافة كان عفيفًا مترفعًا عن مال المسلمين العام، مات رضي الله عنه ولم يرزأ منه شيئًا، ولم تكن الدنيا همه.

- أنه اختار للخلافة من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن استشار أهل الرأي من المسلمين، وكانت ظروف الفتوح تتطلب الحسم ووجود اليقظة الواضحة واستمرارها، وكان استخلاف عمر رضي الله عنه حسنة من حسنات أبي بكر رضي الله عنه.

المصادر والمراجع

أولاً، المصادر:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م).

- الكامل في التاريخ ـ بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.

- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت، ٢٣٥هـ).

- المصنف، تصحيح عبدالخالق الأفغاني ـ كراتشي: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

- المغازي، تحقيق عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري، ط١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢١هـ.

الأزدي، محمد بن عبدالله (ت، ٢٣١هـ).

- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عامر ـ القاهرة: مؤسسة سجل العربي ١٩٨٠م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت، ٢٥٠هـ).

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس ـ بيروت: دار الثقافة ١٣٩٩هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبدالله (ت، ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

الألوسي، محمود شكري (ت، ١٣٤٢هـ).

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ط٢ ـ بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (د. ت).

البخاري، الحافظ أبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، ط١ـ الرياض: دار إشبيليا ـ بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).

ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبدالعزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس ـ بيروت: ١٣٩٨هـ و١٤٠٠هـ.

- انساب الأشراف، تحقيق محمود الفردوس العظم، دمشق: دار اليقظة العربية٢٠٠٠م.

ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي (ت، ٧٣٩هـ).

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط١ ـ دمشق: الرسالة العالمية ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).

- دلائل النبوة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.

- السنن الكبير، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١ ـ القاهرة: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت، ٢٧٩هـ).

- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالسلام (ت، ٧٢٨هـ).

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤ ـ بيروت: دار المعرفة ١٩٦٩م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).

- صفة الصفوة، تحقيق الشيخ خالد طرطوسي، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

الحاكم، الامام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري.

- المستدرك على الصحيحين، ط١ ـــ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).

- كتاب المحبّر، تحقيق ايلزه ليختن شتيتر، ـ بيروت: دار الآفاق (د. ت).

- المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، ط١ ـ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

- فتح الباري "شرح صحيح البخاري"، مراجعة عبدالرؤوف سعد وآخرين ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

الحلبي، على بن برهان الدين (ت، ٩٧٥هـ).

- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (إنسان العيون) ـ بيروت: دار المعرفة ١٤٠٠هـ.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت، ٦٢٦هـ).

-معجم البلدان ـ بيروت: دار الكتاب العربي (د. ت).

ابن حنبل، الإمام أبي عبدالله أحمد (ت، ٢٤١هـ).

-مسند الإمام أحمد ــ بيروت: المكتبة الإسلامي ١٣٩٨هـ.

-فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط١ ــ بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).

-تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الدارمي، أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).

-سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د. م) و(د. ت).

-سنن الدارمي، ج٢، دار إحياء السنة النبوية، (بدون مكان وتاريخ).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).

-سنن أبي داود، تعليق عزت عبير، ط١ ـ حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.

-سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط٢ ـ الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود.

-الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر وجمال الشيال، بغداد: مكتبة المثنى (بدون تاريخ).

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).

-سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.

- السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين القدسي ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال.

- تاريخ الإسلام (عهد الخفاء الراشدين)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (١٥٦ ـ ٢٣٦هـ).

- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٣ ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

الزرقاني، محمد بن عبدالباقي (ت، ١١٢٢هـ).

- شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي ـ بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.

ابن زنجوية، الإمام أبي بكر محمد بن حاتم.

- الروض الأنيق في إثبات إمامة أبي بكر الصديق، دراسة وتحقيق فضيلة الشيخ أحمد جلال، ط١ ـ المنصورة: مكتبة فياض ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠ هـ).

- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط١ ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

- الطبقات الكبرى ـ بيروت: دار صادر (د. ت).

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).

- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط: طه عبدالرؤوف سعد ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

ابن سيد الناس، أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت، ٦٧١هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).

- تاريخ الخلفاء، ج١، تحقيق محي الدين عبدالحميد، ط٣ ـ القاهرة: مكتبة المدني ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.

ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت، ٢٦٤هـ).

-تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت ـ المدينة المنورة: نشرة السيد حبيب محمود أحمد ١٣٩٣هـ.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

-سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مصطفي عبدالواحد وآخرون ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ ـ ١٣٩٩هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

-تاريخ الأمم والملوك ـ بيروت: دار الفكر (د. ت).

-تاريخ الأمم والملوك، ج١ـ القاهرة: المطبعة الحسينية (بدون تاريخ).

ابن عبد ربه الأندلسي.

-العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، بيروت: دار الفكر.

ابن أبي عدسة، أحمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي

- التاريخ الكبير مخطوط رقم: ١٢٢ تاريخ، معهد

المخطوطات العربية بالقاهرة مصور ميكروفيلم ورقم ٦١.

الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد (ت، ٥٠٥هـ).

- إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة (د. ت).

ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي

- منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط مصور على ميكروفلم تحت رقم: ١٢٤٦م ح، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت، ٨٢١هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢ ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ابن أعثم، العلامة أبي محمد بن أحمد الكوفي (ت، ٣١٤هـ ـ ٩٢٦م).

- الفتوح، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).

- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.

- تفسير القرآن العظيم، ط٢ ـ الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.

- البداية والنهاية، ط٣ ـ بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.

الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع سليمان بن موسى.

- الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة،

تحقيق أحمد غنيم، ط١ ـ مصر: دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ).

-سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ القاهرة: ١٣٧٣هـ.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠هـ).

-الأحكام السلطانية ـ بيروت: دار الفكر (د. ت).

المحب الطبري، أبي جعفر أحمد.

-الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

المراغي، الحسين بن عمر (ت، ٨١٦هـ).

-تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق عبدالله عسيلان، ط١ ـ ١٤٢٢هـ.

المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ).

-مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ترتيب وضبط يوسف أسعد داغر، ط٢ ـ بيروت: دار الأندلس ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت، ٧١١هـ).

- لسان العرب، ط٣ ـ بيروت: دار صادر ١٤١٤هـ.

النجار، محمد بن محمود (ت، ٦٤٣هـ).

- الدرة الثمينة في أخبار المدينة، دراسة وتحقيق د. صلاح الدين عباس، ط ١ ـــ مركز بحوث المدينة ١٤٢٧هـ.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت، ٦٧٦ هـ).

- شرح صحيح مسلم، إعداد مجموعة من الأساتذة بإشراف علي عبدالحميد أبو الخير، ط٣ ـ دمشق: دار الخير ١٤١٦هـ.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).

- السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبدالحفيظ شلبي ــ القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د. ت).

الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري (ت، ٩٧٥هـ).

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط٥ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

الهيثمي، نور الدين عل بن أبي بكر (ت، ٨٠٧هـ).

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).

- المغازي، تحقيق مارسدن جونس ــ بيروت: عالم الكتب (د. ت).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٢هـ).

- تاريخ اليعقوبي، ج٢، ـ بيروت: دار صادر ١٣٧٩هـ.

أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت، ٤٥٨هـ).

- الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ـ سرابايا، أندونيسيا: مكتبة أحمد نبهان ١٣٩٤هـ.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).

- الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط٥ ـــ القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

ثانيًا: المراجع:

الخياري، أحمد ياسين.

- تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا، النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٠هـ.

الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

لمعي، صالح.

- المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ـ بيروت: دار النهضة ١٩٨١م.

الأنصاري، الشيخ ناجي محمد حسن.

- عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، ط١ ـ من إصدارات النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ.

أبو تراب الظاهري.

- أصحاب الصفة ـ جدة: دار القبلة ١٤٠٣هـ.

الترمانيني، عبدالسلام.

- أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول

(أهم أحداث التاريخ الإسلامي) ــ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ.

حجازي، علي سعد علي.

- هدي الطريق من سيرة أبي بكر الصديق.

حميد الله، محمد.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٤، ـ بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.

الخربوطلي، د. علي حسني.

- الإسلام والخلافة، ـ بيروت: دار بيروت ١٩٦٩م.

الخليفة، د. حامد محمد.

- إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق حامي الإسلام من الرفض والرِّدَّة، ط١ ــ الرياض: دار الميمان ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

ديرانية، أكرم رسلان ديرانية.

- الحكم والإدارة في الإسلام، دراسة تحليلية مقارنة، ط١ ـ جدة: دار الشروق ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

الشريف، أحمد إبراهيم.

- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ـ القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت).

شرقاوي، أدهم عبدالحليم شرقاوي.

- ثاني اثنين، ـــ بيروت: كلمات للنشر والتوزيع٢٠٢٠م.

الشنقيطي، محمد الأمين عوض الله.

- السيرة النبوية عند ابن حجر في فتح الباري ـــ الكويت: ١٤١٤هـ.

أبو شهبة، محمد بن محمد.

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط٧ ـــ دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الصالح، صبحي.

- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥، ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م.

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق. شخصيته وعصره ـ الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.

الصوياني، محمد حمد عبدالله.

- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ط٨ ـ الرياض: العبيكان ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م.

ابن طباطبا، محمد بن علي الطقطقا.

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ـ بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

علي، محمد كرد علي.

- الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة:

علي، جواد.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٦م.

العُمري، أكرم ضياء.

- السيرة النبوية الصحيحة، ج٣، ط٣ ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.

- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.

العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم بن سليمان.

- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٢هـ.

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط٣ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ.

- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط٢ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.

- رسول الله ﷺ وخاتم النبيين ـ دين ودولة، ط١، ـ بيروت: بيسان ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

ماهر: د. سعاد.

- مساجد في السيرة النبوية ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

الغزالي، محمد.

- فقه السيرة، ط٧ ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.

قاسم، محمد بن عبدالرحمن بن محمد.

- أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم

بالخلافة، بحث لخصه ورتبه من منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١ ــ الرياض: دار القاسم للنشر ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

القيسي، عاطف عباس.

- ثقيف ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي، ــ بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.

الكتاني، عبدالحى بن عبدالكبير.

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

كعكي، عبدالعزيز عبدالرحمن إبراهيم.

- معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ط١ ــ المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.

ابن النجار، محمد بن محمود بن الحسن

- الدرة الثمينة في أخبار المدينة، المعروف بـ (أخبار مدينة الرسول)، تحقيق صالح محمد جمال.

الندوي، علي أبو الحسن بن عبدالحي بن فخر الدين

- السيرة النبوية، ط١٢ ــ دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٥هـ.

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٧
تمهيد	١٣
عصر الصديق رضي الله عنه	١٥
موطن الصديق رضي الله عنه	١٩
نسب الصديق رضي الله عنه	٣٠
ألقابه رضي الله عنه	٣٣
أبو بكر	٣٣
الصديق	٣٣
ثاني اثنين	٣٨
الأتقى	٤١
الصَّاحب	٤١
عتيق الله من النار	٤٣
خليفة رسول الله ﷺ	٤٤
صفاته الجسدية رضي الله عنه	٤٦

الموضـــــوع	الصفحة
حياته ﷺ قبل الإسلام	٤٧
صحبته ﷺ للنبي ﷺ قبل الإسلام	٥٠
إسلامه ﷺ	٥٣
أخلاقه ﷺ	٦٠
شجاعته ﷺ	٦٠
صبره وتحمله ﷺ	٧٠
تواضعه ﷺ	٧١
حلمه ﷺ	٧٢
حزمه ﷺ	٧٤
فصاحته وبلاغته ﷺ	٧٨
إيمانه وتقواه ﷺ	٨٤
عبادته ﷺ	٩١
علمه ﷺ	٩٤
صحبته ومعايشته ﷺ لرسول الله ﷺ	١٠٢
هجرته ﷺ مع النبي ﷺ ودور آل أبي بكر	١١٦

الموضـــــوع	الصفحة
الطريق إلى المدينة	١٤١
نزوله ﷺ المدينة مع الرسول ﷺ	١٤٩
ثناء القرآن على الصديق ﷺ	١٦٠
مصاهرته ﷺ **للرسول** ﷺ	١٦٤
حادثة الإفك	١٦٩
حبه ﷺ **للرسول** ﷺ **وآل البيت**	١٨١
غزواته وأسفاره ﷺ **مع النبي** ﷺ	١٩٦
مشاورة النبي ﷺ للصديق ﷺ	١٩٦
راية الرسول ﷺ	٢٠٠
حج أبي بكر ﷺ **بالناس (سنة ٩هـ)**	٢٠١
خلافته ﷺ **لرسول الله** ﷺ	٢٠٨
علاقته ﷺ **بأصحاب النبي** ﷺ	٢١١
حادثة السقيفة	٢١٨
أسباب اختيار أبي بكر الصديق ﷺ	٢٣٣
حملة أسامة بن زيد ﷺ	٢٤٧

الموضـــــوع	الصفحة
حروبه ﷺ للردة	٢٥٠
معركة اليمامة	٢٥٠
ردة البحرين	٢٥٦
ردة اليمن	٢٥٨
ردة عُمان	٢٥٩
جمعه ﷺ للقرآن في المصحف	٢٦٢
الفتوح في خلافة الصديق ﷺ	٢٦٦
فتح فارس والعراق	٢٦٧
موقعة ذات السلاسل سنة (١٢هـ)	٢٧٠
موقعة الولجة، موقعة أليس سنة (١٢هـ)	٢٧١
فتح الحيرة والأنبار سنة (١٢هـ)	٢٧٣
فتح دومة الجندل سنة (١٢هـ)	٢٧٥
فتوح الشام (الروم)	٢٧٧
معركة اليرموك سنة (١٣هـ)	٢٨٢
إدارة الصديق ﷺ للبلدان	٢٨٩

الموضـــــوع	الصفحة
مكة المكرمة	٢٨٩
الطائف	٢٩١
المدينة المنورة	٢٩١
البحرين	٢٩٢
عُمان	٢٩٣
نجد	٢٩٥
اليمن وحضرموت	٢٩٧
العراق	٣٠٦
الشام	٣١٠
الملامح العامة لإدارة أبي بكر ﷺ للبلدان	٣٢٦
اختياره ﷺ الأمراء والعمال	٣٢٨
رعايته ﷺ لآل بيت النبي ﷺ	٣٤٣
استخلافه لعمر ﷺ	٣٥٣
وصيته ووفاته ﷺ	٣٥٨
مدة خلافته ﷺ	٣٦٤

الموضـــــوع	الصفحة
نظرة الأمة لأبي بكر رضي الله عنه	٣٦٥
خاتمة	٣٦٨
المصادر والمراجع	٣٧١
فهرس الموضوعات	٣٩٤

* * * * *

سيرة ذاتية

الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

Prof. Abdul Aziz Ibrahim Al Omary

مكان الميلاد وتاريخه: بريدة بالقصيم، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

المؤهل العلمي: دكتوراه.

تاريخه: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

مصدره: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ والحضارة - بالرياض.

الرتبة العلمية: أستاذ.

التخصص العام: تاريخ وحضارة إسلامية

التخصص الدقيق: النظم الإسلامية في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

اللغات: الإنجليزية، وإلمام باللغة الألمانية.

العمل:

- أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقًا).
- الإشراف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في السيرة النبوية والتاريخ والحضارة وناقش عددًا منها.
- وكيل معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن (سابقًا).
- نائب رئيس المجلس البلدي لمدينة الرياض (سابقًا).
- باحث في السيرة النبوية ورجل أعمال حاليًا.

الجمعيات والأعمال:

- عضو مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعودية (سابقًا).
- عضو جمعية دراسات الشرق الأوسط الأمريكية (سابقًا).
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.

- عضو اتحاد المؤرخين الخليجيين.
- عضو اللجنة العلمية للأطلس التاريخي للسيرة النبوية (دارة الملك عبد العزيز).
- المشاركة في العديد من المؤتمرات والندوات في أمريكا وأوروبا واستراليا ونيوزيلندا والعالم العربي.
- نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام.
- عضو مجلس إدارة ومؤسس لشركة الخليج للإعلام والعلاقات والعامة.
- رئيس وعضو مجلس إدارة شركة وايف العالمية للدراسات والأبحاث في مجال العمل الخيري.
- رجل أعمال ومطور عقاري في المجال العُمراني والفندقي والمجمعات السكنية منفردًا ومع الشركات الأخرى في عدد من مدن المملكة العربية السعودية وخارجها.

- رئيس وعضو مجلس إدارة لعدد من الشركات التجارية داخل المملكة وخارجها.
- إنتاج برنامج تلفزيوني يقع في (٢٥٦) حلقة عن السيرة النبوية.

له ما يزيد عن خمسين بحثًا منشورًا وواحد وخمسون كتابًا مطبوعًا وهي: ـ

- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ. (ثلاث طبعات)، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
- الفتوح الإسلامية عبر العصور (أربع طبعات)، (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م). تُرجم إلى الإنجليزية والأُردية.
- كتاب المغازي لابن أبي شيبة، الطبعة الثانية، (١٤٢٠هـ / ٢٠٠١م).
- أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- الأمن في حياة الأنبياء عليهم السلام، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
- انتخابات المجالس البلدية ـ تجربة ذاتية ـ الرياض، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- حضاريات في الفتوح الإسلامية، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- أبو بكر بن أبي شيبة وآثاره التاريخية، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
- مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)
- لوحات وطنية، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
- القوى العالمية والمكاييل، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
- فضاءات ثقافية في العدل والتاريخ والإعلام، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)

- مجلس الرياض البلدي من الداخل، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة (٥ أجزاء)، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
  - **القسم الأول:** علم السيرة النبوية العالم والمصطفى والوحي.
  - **القسم الثاني:** الاضطهاد والهجرة والتنمية.
  - **القسم الثالث:** إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً.
  - **القسم الرابع:** العالمية والدولة الإنسانية.
  - **القسم الخامس:** المعايشون للمصطفي ﷺ.
- الاصطفاء من سيرة المصطفى (مختصر كتاب رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة)، الطبعة الثانية، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م). (تُرجم إلى ١٤ لغة) طُبع منها القرغيزية والروسية والتايلندية والأُردية والبوسنية والألبانية والإندونيسية والبرتغالية، والإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية.

- حصاد منتدى العُمري الثقافي في جمع وتحقيق وإعداد وتحرير (١٣ جزء)، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) إلى (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).
- بناء المجتمع المدني وتنميته في السيرة النبوية، (١٤٢٧هـ/ ٢٠١٦م). تُرجم إلى البوسنية والروسية والتايلندية والقرغيزية والألبانية والبرتغالية والإيطالية.
- وثائق عائلية من بُرَيْدَة ـ من مقتنيات الوالد إبراهيم ابن سليمان العُمري ﷺ ـ (جزأين)، ١٢٠٠هـ ـ ١٣٤٠هـ)، (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م).
- من روَّاد التعليم الشيخ/ عبد الله بن إبراهيم بن سليم ﷺ سيرة وآثار وتاريخ، (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).
- موسوعة شمائل المصطفى ﷺ (٧ مجلدات)، تحت الطبع.
  - **المجلد الأول:** علم الشمائل والصفات النبوية.

- **المجلد الثاني:** الرحمة في حياة النبي ﷺ.
- **المجلد الثالث:** عبادته ﷺ.
- **المجلد الرابع:** عواطفه ﷺ.
- **المجلد الخامس:** آدابه ﷺ.
- **المجلد السادس:** عِلمه وحكمته ﷺ.
- **المجلد السابع:** معيشته ﷺ.

*****